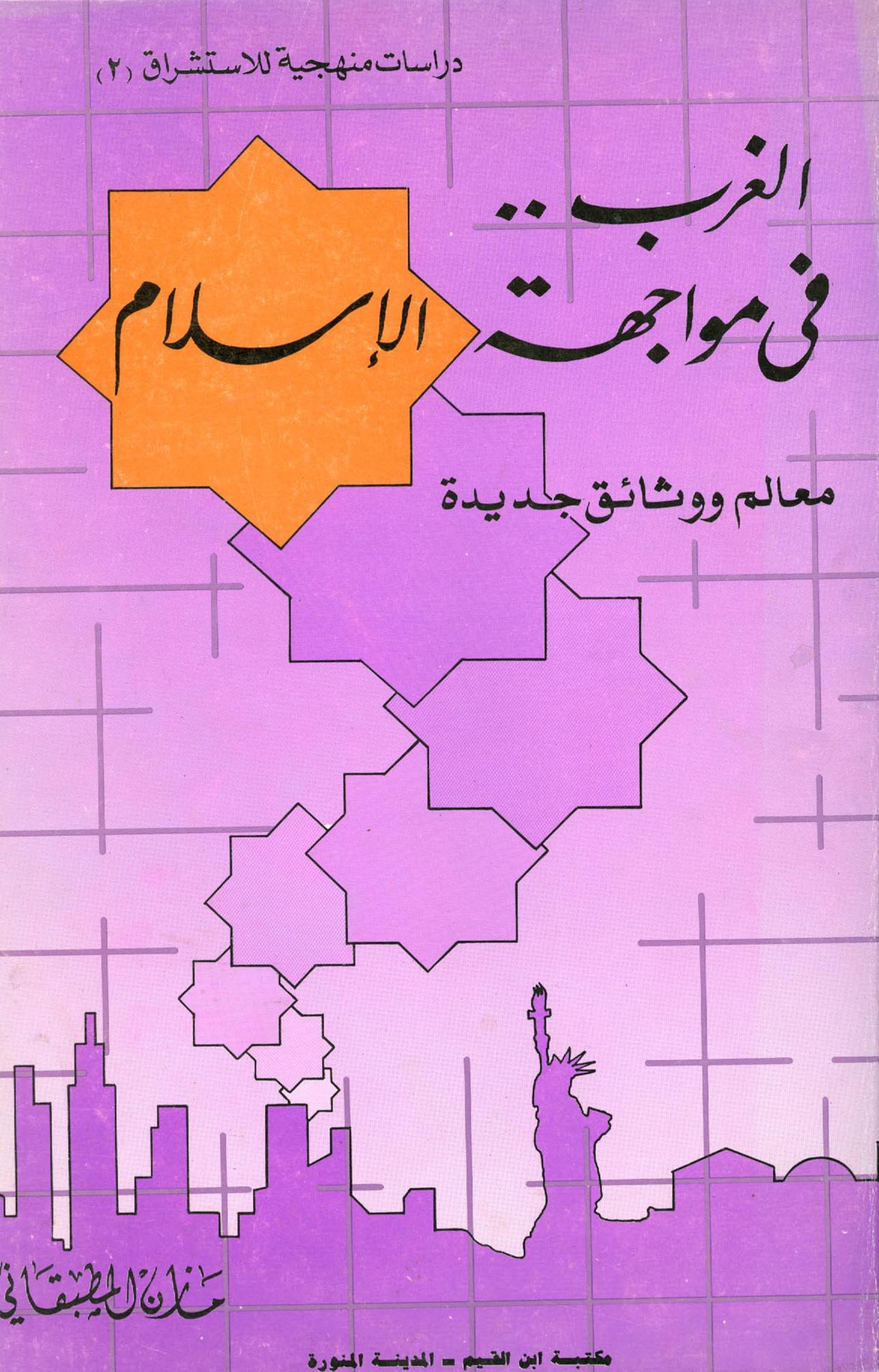

دراسات منهجية للاستشراق (٢)
الغرب في مواجهة الإسلام
معالم ووثائق جديدة
مكتبة ابن القيم - المدينة المنورة

دراسات منهجية للاستشراق (٢)

الغرب في مواجهة الإسلام

معالم ووثائق جديدة

مازن المطبقاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .

المتعصبون ، الأصوليون ، النضاليون ، المتطرفون ، الإحياء الإسلامي البعث الإسلامي ، إحياء الدين ، التجديد ، النهضة ، الصحوة . . إلخ هذه مصطلحات أخذت تشيع في كتابات المستشرقين وبخاصة الأمريكان منهم لوصف ما يحدث في العالم الإسلامي من حركات ودعوات تنادي بالعودة إلى العقيدة الإسلامية وجعلها الأساس لحياة الأمة الإسلامية .

لماذا يهتم الأمريكان بالحركة الإسلامية ؟ ولماذا تهتم الحركة الإسلامية بالمقابل بما يقال عنها ؟ سؤالان يحتاجان إلى إجابة . لعلنا لا نقول جديدًا إن أرجعنا اهتمام أمريكا بالعالم الإسلامي وبالحركة الإسلامية بصفة خاصة إلى اهتمام القوى الاستعمارية بما تحت أيديها من شعوب وأوطان . تدرسها دراسة تخطيط ومكر لتطيل فترة سيطرتها عليها لتستمر في استنزاف خيراتها وثرواتها ، ولتمنع يقظتها أو لتؤخر هذه اليقظة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً . وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[2] .

أما اهتمام المسلمين بما يقوله الغرب في كتاباته ودراساته وتقاريره فما ذلك إلاّ لإفساد مخططاتهم بإذن الله وقوته في تحقيق أهدافهم آنفة الذكر ، ولتكون

---

١ ــ سورة البقرة آية ١٢٠ .

٢ ــ سورة البقرة آية ١٠٩ .

الأمة على وعي بما يكيده الأعداء لها وبالتالي للعالم أجمع . العالم الذي بعثت فيه هذه الأمة لتكون شاهدة عليه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[٣] نعم لتتحقق الشهادة هذه رغم أنوف من يرفض هذه المكانة لنا . وقبل الوصول إلى هذه المكانة فالحركة الإسلامية تحاول جاهدة توفير المناخ لإخراج هذه الأمة من الانحطاط والتبعية إلى معاودة إمساك خطام البشرية وحدائها بكلمات السماء الخالدة ﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[٤] .

فإذا كان الغرب وبخاصة أمريكا تصدر للعالم مع أشكال ألبستها والسيارة الفارهة والطائرة المتطوِّرة المبادئ والمثل والقيم وأساليب الحياة فالعالم الإسلامي اليوم وإن كان لا يملك ما يصدره من هذه الأدوات فإن لديه ما هو أعز وأثمن وأغلى من ذلك . إنَّه يملك المبادئ والقيم والرسالة الخاتمة التي يمكن للبشرية أن تعيش بها في سلام ووئام لم تعرفه البشرية في تاريخها إلا حينما كانت هذه الأمة تحمل مشاعل النور والهداية . حينما كان يحق لشاعر مسلم أن يفخر بأن المسلمين يملكون أقوات الكرة الأرضية يجيعون من شاؤوا ويشبعون من شاؤوا . ولكن قدرتهم وقوتهم لم تحملهم على إذلال الشعوب كما يفعل صندوق النقد الدولي في هذا الزمن وكما تفعل الديون الربوية التي تنوء بها الدول الفقيرة ولا تستطيع لها سدادًا .

وعودًا إلى موضوعنا فالمستشرقون يبذلون جهودًا يصعب إحصاؤها ومتابعتها ، لذلك لا بد من اختيار بعضها ودراسته وتقديمه للأمة الإسلامية ولروادها وهم الحركة الإسلامية ليكونوا على بينة مما يكيد الأعداء ويدبرون للوصول إلى فهم متوازن لمدى قوة المسلمين بدراسة واقعهم وارتباطاتهم بالقوى

---

٣ ـ سورة البقرة آية ١٤٣ .

٤ ـ أحمد بن يوسف . **الصحوة الإسلامية في منظار الغرب : الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر** انديانا : رابطة الشباب العربي المسلم بأمريكا ١٩٨٨ م ـ ١٤٠٨ هـ ، ص ٢٥ والآية في سورة نوح آية ٣ .

العالمية وهذا التقويم « يستلزم مِنّا عدم الاقتصار أو التقوقع داخل وجهات نظرنا في أنفسنا . . إننا بحاجة إلى استيعاب وتفهم كافة الاتجاهات الدولية سواء اتخذت مِنّا مواقف موضوعية أومعادية أو متخوفة أو محذرة من الصحوة الإسلامية المعاصرة . . »[1] .

وهذا البحث المتواضع رجعنا فيه إلى دراستين عن الحركة الإسلامية إحداهما كتاب ريتشارد هرير دكمجيان المعنون بـ « الإسلام في ثورة ــ الأصولية في العالم العربي » والثانية سلسلة مقالات نشرتها مجلة المجتمع بعنوان « الإسلام والكونجرس » في عشر حلقات ولم تنته بعد وهي أصلاً دورة نظمتها لجنة الشؤون الخارجية للاستماع للآراء والتحليلات التي قدمها كبار المختصين بمتابعة شؤون المنطقة الإسلامية والصحوة الإسلامية فيها ، وقد صدرت في واشنطن في كتاب ضخم من ثلاث وأربعين وأربعمئة صفحة[2] . كما أن هذه الدراسة الموجزة قد تعود إلى كتابات أخرى تؤيد أو تختلف مع ما جاء في هاتين الدراستين .

ولا بد لهذا العرض من منهج يسير وفقه ، لذلك قسمنا الموضوع إلى عدة أقسام :

الأول : نظرة الغرب إلى الحركة الإسلامية .

الثاني : نظرة الحركة الإسلامية إلى أمريكا .

الثالث : التخطيط الأمريكي لمواجهة الحركة الإسلامية .

وأسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مازن المطبقاني

المدينة المنورة ـ المعهد العالي للدعوة الإسلامية

قسم الاستشراق

٥ / ١٢ / ١٤٠٩ هـ

---

١ ــ المرجع نفسه ، ص ٣١ .

٢ ــ نظرًا لأهمية هذا الكتاب فسوف تلحق بـ هذه الدراسة عـدة ملاحق مأخوذة منه بإذن الله .

القسم الأول : كيف ينظر الغرب إلى الحركة الاسلامية

توطــــئة :

ليس من طبيعة هذا البحث أو من أهدافه أن يتحدث في المسائل التاريخية حول المجددين أو الحركات الإسلامية قديمًا إن صح هذا التعبير . بيد أننا لا بد أن نقدم توطئة أو تمهيدًا بين يدي هذا الموضوع الحساس الخطير .

الإسلام دين الله عز وجل إلى البشرية أجمع منذ عهد أبينا آدم عليه السلام ، فقد كان إبراهيم حنيفًا مسلمًا ، وكذلك كان نوح وصالح وهود وموسى وعيسى والأنبياء جميعًا عليهم السلام إلى أن بعث الله نبينا محمدًا عليه الصلاة والسلام بالرسالة الخاتمة لجميع الرسالات . ومن أبرز ميزات هذا الدين أنه يحمله من كلّ جيل عدو له ، وأن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة دينها . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن خير القرون قرنه ثم الذي يليه ثم الذي يليه . وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرها من خذلها .

من هذه التوطئة نعلم أن هذا الدين الذي تكفل الله عز وجل بحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ لابد له من رجال يقومون بما فرض الله عليهم من واجب التبليغ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1] وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرُبّ مبلِّغ أوعى من سامع »[2] فلذلك ما إن يحدث الابتعاد والانحراف عن منهج الله عز وجل حتى ينبرى هؤلاء لأداء الأمانة . وكانت قافلة هؤلاء المباركة الكريمة تمتد منذ عهد بني أمية إلى يومنا هذا يزدان بهم تاريخ الأمة الإسلامية بل وتاريخ البشرية أجمع . وهذا الدين يجعل من الفرد الذي يحمل مسؤولية التبليغ

---

١ ــ سورة يوسف آية ١٠٨ .

٢ ــ رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ١٣١ ، ٤٠٩ وفي شرح السنة للبغوي ج ١٠ ص ٤٤ .

والإصلاح أمة واحدة . وإن كان إبراهيم عليه السلامة « أمة » فقد نال هذا الشرف أيضًا من صحابة الرسول ﷺ كأبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

قد يظهر المجدد أو المصلح على مستوى الأمة الإسلامية ، وقد يظهر أحيانًا في قطر من أقطار الأمة بل إن الإصلاح يبلغ أبعد من هذا فيكون لمدينة من المدن مصلحها ومجددها بل حتى لمؤسسة من المؤسسات يهيئ الله من يهزها هزًا عنيفًا فيذهب الزبد جفاء ويبقى ما ينفع الناس .

أعداء الأمة الإسلامية :

عاشت هذه الأمة الإسلامية قوية مهيبة الجانب ما تمسكت بكتاب ربها وسنة نبيها حتى إذا ابتعدت عن الجادة وتركت الجهاد ، سلط الله عليها الأعداء من خارجها ومن داخلها . فكان من خارجها المغول والتتار والصليبيون . حتى إذا اندحرت آخر حملة صليبية ومرت قرون على ذلك وعادت الأمة إلى ابتعادها عن منهج الله عاد إليها الأعداء في صليبية جديدة . فأضحت البلاد الإسلامية ممزقة الأشلاء كلّ قطر منها في قبضة بلد أوروبي فعرف هذا بالاستعمار الأوروبي . وكان للأمة صحوة على أيدي علمائها الداعين إلى العودة إلى منهج الله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

لم يعد العدو عدوًا واحدًا بل إنه في هذه المرة جاء بصورة أكثر دهاءً وخبثًا ، فهو لم يأت للقتل والسلب والنهب ثم مغادرة الديار إلى غير رجعة ولكن جاء ومعه ثقافة ومبادىء وقيم . جاء وانتزع من المسلمين من يحمل هذه الأفكار والمبادئ ، فكان على المجددين المصلحين أن يدخلوا في صراع على جبهتين : الداخلية والخارجية .

ظهور الحركات الإسلامية :

واستمر الصراع إلى أن انحسر المدّ الاستعماري أو كاد وأصبح العالم الإسلامي ميدانًا لحركات إسلامية واعية من أقصى الغرب حتى أقصى الشرق . فقد ظهرت في مصر حركة إسلامية فتية هي حركة الإخوان المسلمين

عام ١٩٢٨م كما ظهرت في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م وظهرت حركات شنبيهة في أندونيسيا والهند وغيرهما من البلاد الإسلامية تقاوم عدوين لدودين عدو داخلي يتمثل في الانحراف والبعد عن منهج الله في جميع شؤون الحياة من حكم وسياسة واقتصاد بل حتى وصلوا إلى الدعوة إلى الابتعاد عن الشريعة في الأهوال الشخصية ويتمثل هؤلاء فيمن أطلق عليهم الاستعمار النخبة المتغربة الداعية إلى ثقافة المستعمر وفكرهِ ، النخبة الداعية إلى إذابة الأمة الإسلامية في أوروبا . أما العدو الخارجي فكان أمره أسهل حيث امتشق المسلمونَ السلاح واستعانوا عليهم بالله عز وجل فأكرمهم الله بأن كانو كما قال ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] .

هذه الحركات التي ظهرت قبيل انحسار المدِّ الاستعماري وقويت واشتد ساعدها بعد رحيل المحتل الغاصب لاقت صنوفًا من الابتلاء والمحن ممن رضي له الاستعمار أن يستلم الزمام بعده ، وتلك هي سنة الله في خلقه ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ولكنها مضت في طريقها تدعو إلى العودة إلى الدين الإسلامي وجعله المهيمن على جميع شؤون الحياة ؛ في السياسة والاقتصاد والاجتماع . ويرى أحد المستشرقين أنه يمكن ملاحظة هذه الحركات من خلال كثرة ترددهم على المساجد والابتعاد عن الحياة الغربية التي نقلت إلى بلادهم خلال قرون الاستعمار بل وحتى بعد انحسار المدِّ الاستعماري وتولى الزعامة في العالم الإسلامي من قبل جماعة تدين للغرب بالولاء والفكر[1] .

وقد بيَّن أحد الباحثين الألمان أن ردّ الفعل لدى الحركات الإسلامية للأوضاع المنحرفة القائمة قد أخذ شكلين رئيسيين : الأول : الانعزالية ، وهم

---

١ ــ سورة البقرة آية ٢٤٩ .

١ ــ أحمد إبراهيم خضر « الإسلام والكونجرس » **المجتمع** عدد ٩١٤ في ٢٠ رمضان ١٤٠٩ هـ ـ ٢٥ أبريل ١٩٨٩م ص ٢٧ والكلام للدكتور اسبوسيتو .

المجموعة التي ترفض أي تعاون مع النظام القائم وتعزل نفسها اجتماعيًا وثقافيًا من المجتمع والثقافة الاستعماريين . ولذلك فالأيدلوجية الإسلامية التي تبنتها هذه الجماعة نادرًا ما تظهر أي علاقة بمعتقدات الأيدلوجيات الأخرى وذلك أنها إسلامية صرفة وحتى كلمة تربية مصطلح مرفوض لأنها في نظرهم مستعارة ومترجمة من اللفظ الإنجليزي[٢] . أما الشكل الآخر فهم الاندماجيون الذين يرون أنهم من خلال المشاركة في الدولة والنظام الاجتماعي القائم فإنهم سوف يصلون إلى الأسلمة من خلال الوضع الراهن . ولذلك فهم يدعون إلى « التربية الإسلامية » ، وتأسيس البنوك الإسلامية ، وتقنين الشريعة الإسلامية وأفضل تصوير لهؤلاء هو حرصهم على الوصول إلى القوة عن طريق الانتخابات .

والأصوليون أو الحركة الإسلامية تعي تمامًا أن الاعتماد على الغرب وتقليده هو المسؤول عن فشل الأنظمة السياسية في بلادهم ، وعن حالة الوهن العسكري النسبي في العالم الإسلامي .

وتدرك الحركة الإسلامية أن ما تتبناه بعض الحكومات الإسلامية من أشكال الحكم الغربي من برلمانات ومجالس شورى أو شيوخ إنما هو مستورد من

---

٢ ـ Reinhard Schulze. **Political Islam in the 20th Century.** P. 7

وهي محاضرة ألقيت في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون بالولايات المتحدة في ١٩٨٨/٩/٢٢م وحصل الكاتب على بعضها .

٣ ـ المرجع نفسه ص ٨ .

٤ ـ خضر ، المرجع السابق وسلسلة المقالات هذه هي ترجمة وتعليق على كتاب صدر في واشنطن بعنوان :

Islamic Fundamentalism and Radicalism: Hearings before the sub-committee on Europe and Middle East of the Committee of Foreign Affairs, House of Representatives of 990 Congress, June 24, July 15, Sept. 30 - 1985

وقد نشرت في كتاب بلغت صفحاته (٤٤٣ صفحة) كما أشار إلى ذلك أحمد بن يوسف في المرجع السابق ذكره .

الغرب ولإرضاء الغرب ولإرضاء الشركات المتعددة الجنسية وبخاصة ذات السيطرة الأمريكية منها . وهذه البرلمانات أو الأشكال الديمقراطية إنما هي « نظام سياسي جاهز » جاء من حضارة وبلاد مختلفة وفُرِضَ بواسطة الحكام الغربيين أو المتغربين وتزداد سخريته بنا حين يقول « أما برلمان القاهرة فقد « استورد » في علبة وجمع وصار جاهزًا للعمل بدون ـ حتى لائحة تعليمات عن كيفية استعمال هذه البضاعة الأجنبية المستوردة »[1] .

ينظر الأصوليون إلى الوضع الاجتماعي الذي آلت إليه أمتهم فيرون أنهم أصبحوا شعوبًا تعيش حياة ذات نمط استهلاكي ، خدرتهم المنتوجات الغربية فأدمنوها فأصبحت خيرات بلادهم تذهب إلى الغرب فهم عالة على العالم في كلّ شيء تقريبًا من الطعام الذي يأكلونه إلى اللباس الذي يرتدونه إلى الأزياء والموضات بالإضافة إلى الكم الهائل من الأجهزة المختلفة .

وفي هذا المجتمع الاستهلاكي ليس هناك موازين سليمة توزع الثروة توزيعًا عادلاً بل ثمة تقارب شديد في المستوى ، فقر مدقع وغنى مبطر[2] . وكما قال أحدهم « بحار تشكو الري وصحارٍ تشكو الظمأ » .

ويرى الأصوليون أن أنماط السلوك في مجتمعاتهم قد تأثر بالغرب تأثرًا كبيرًا فانتقلت إلى البلاد الإسلامية مفاسد المجتمعات الغربية وما تعانيه من انهيار ثقافي وأخلاقي . ومن مظاهر هذه المفاسد انهيار الأسرة ، وارتفاع معدلات الجريمة وفشو الانحلال الخلقي[3] .

أما من ناحية السياسة فترى الحركة الإسلامية (الأصوليون) أن ما يجري في العالم الإسلامي هو استمرار النزعة الاستعمارية التآمرية . وإن لهذا التآمر طرفين هما اليهود والنصارى . وتوجه الحركة الإسلامية اللوم إلى حكوماتها

---

١ ــ برنارد لويس **الغرب والشرق الأوسط** . ترجمة نبيل صبحي (ن . د) (ت . ب) ص ٨٦ ـ ٨٧ .

٢ ــ خضر ، المرجع السابق وهذا عرض « اسبوسيتو لتقريره » والدكتور اسبوسيتو أستاذ في قسم الدراسات الدينية في كلية الصليب المقدس .

٣ ــ المرجع نفسه .

« للهثها وراء الغرب وفشلها في البحث عن جذور هويتها وتطورها الاجتماعي السياسي مباشرة من الإسلام[٤] .

والحركة الإسلامية وهي تتخذ هذا الموقف النقدي من واقع العالم الإسلامي لتقدم له البديل المتمثل في عدة نقاط أبرزها :

١ ــ الإسلام طريق حياة شاملة ، ولهذا فإن الدين متكامل مع السياسة والمجتمع .

٢ ــ أن السبب في الضعف السياسي والاقتصادي والعسكري يعود إلى انحرافهم عن الإسلام واتباع الأيدلوجية والقيم المادية العلمانية الغربية ويرون أن الاشتراكية الماركسية والليبرالية الغربية أيدلوجيات فاشلة ، ومناقضة للإسلام .

٣ ــ لا يرفض النظام الإسلامي الجديد العلم والتكنولوجيا ، ومع ذلك فإن التحديث يجب أن يخضع لمقاييس الإسلام حتى يحفظ المجتمع من العلمانية والاتجاه نحو الغرب[١] .

ويبدو أن هذه النظرة إلى الإسلام والحركة الإسلامية لها جذور في كتابات بعض المستشرقين الذين سبقوا في تقديم دراساتهم حول الإسلام في التاريخ الحديث أو حول تطلع المسلمين إلى العودة من جديد ليؤدوا رسالتهم . فمن هؤلاء برنارد لويس الذي كتب مقالاً بعنوان « عودة الإسلام » جاء فيه عن الإسلام بأنه « تشريع شامل وليس محدودًا » ، ويضيف « في مثل هذا المجتمع تكون فكرة الفصل بين المؤسسة الدينية والدولة فكرة لا معنى لها . إذ ليس هنا مؤسستان مستقلتان يمكن أن نفصل بينهما »[٢] .

---

٤ ــ المرجع نفسه .

١ ــ المرجع السابق ، تقديم د . اسبوسيتو لتقريره في جلسة الكونجرس يوم ٢٤ يونيه ١٩٨٥ م .

٢ ــ برنارد لويس . عودة الإسلام . **مجلة الدعوة المصرية** . النمسا العدد ٨٦ السنة ٣٣ في ذي القعدة ١٤٠٣ هـ أغسطس (آب) ١٩٨٣ م ومقال لويس نشر في مجلة تعليقات يناير ١٩٧٦ م .

أما المستشرق الآخر الذي أعد دراسة هامة حول الإسلام في التاريخ الحديث فيؤكد أن ما يقال عن تأثير الغرب في الإسلام أو تأثير القرن العشرين في الإسلام كأنما الإسلام جامد أو سلبي في تقبل التأثيرات فيه ، هذه الفكرة ليست صحيحة ، فالإسلام قوة لها تأثيرها الآن ومنذ ثلاثة عشر قرنـًا وله تأثيره القوي في المسلمين ومجتمعاتهم ، ولذلك لا بد من دراسة مسيرة هذا الدين عبر التاريخ ، ذلك أن ارتباط الإسلام بالتاريخ له وضع فريد بين الأديان الأخرى . ثم يتحدث الباحث عن الإسلام منذ بدء الخليقة منذ آدم عليه السلام ويشير إلى شمولية هذا الدين وأنه لا فصل فيه بين ما هو دنيوي وأخروي[٣] .

ونرى من المفيد أن ننظر في كتابات بعض قادة الحركة الإسلامية في العصر الحديث حول هذه النقاط فنجد أن الأصول العشرين للشيخ حسن البنّا تشير في الأصل الأول منها إلى أن الإسلام « نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعـًا ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء . وهو مادة أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة »[١] وجاء هذا المعنى في دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها في الفقرة أو الأصل الثاني الذي يقول : « الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به وذلك لأنه : وحدّد بعد ذلك المبررات فكان منها الأخوة الإسلامية والمساواة في الكرامة البشرية ، والحقوق الإنسانية ، وفرض العدل بدون تمييز وتحريم الظلم بجميع وجوهه ، وتشريك الفقراء مع الأغنياء في الأموال عندما شرع القراض والمزارعة وغير ذلك . . »[٢] .

---

٣ ـ Wilfred Cantwell Smith. **Islam in Modern History.** New York. The New American Library of World Literature, 1959 PP. 14-

١ ـ عبدالله البنّا ـ **شرح الأصول العشرين من تعاليم الإمام حسن البنّا** . القاهرة : دار الأنصار (ت . بدون) ص ٥ .

٢ ـ مازن مطبقاني ـ **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية** . دمشق : دار القلم ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

أما عن النقطة الثانية حول الضعف السياسي والعسكري فها هو البنّا رحمه الله يقول : « حدثوني بربكم أيها الأخوان إذا كان الإسلام شيئًا غير السياسة وغير الاجتماع ، وغير الاقتصاد وغير الثقافة فما هو إذن . .»[٣] وابن باديس في الجزائر حينما يرى حمّى الاشتراكية الماركسية والليبرالية الغربية والمادية والعلمانية تجتاح بلاده عن طريق دعاتها من الفرنسيين أو من تغرب من أبناء الجزائر فيصرح قائلاً : « رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة على الأرض وهي : مدنية مادية في نهجها وغاياتها ونتائجها ، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان فقالوا إن رجال هذه المدنية هم « الصالحون » الذين وعدهم الله بإرث الله كأن عمارة الأرض هي كلّ شيء ، ولو ضلت العقائد وفسدت الأخلاق واعوجت الأعمال وساءت الأحوال وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة وروعت بالفتن والحروب المخربة ، وهددت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها[١] .

الخلفيات الاجتماعية للأصوليين :

وبالإضافة إلى دراسة فكر الحركة الإسلامية (الأصوليين) ومنهجهم فإن دراسات المستشرقين والسياسيين الأمريكان والأوروبيين تتعمق في دراسة الخلفيات الاجتماعية لأعضاء هذه الحركة لأهداف منها لتعرف كيف تتعامل معها أو لتعرف كيف تحاصرها وتقضي عليها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ . وهذه الدراسات تشير إلى أن الحركة الإسلامية انطلقت من الطبقات الوسطى ، والدنيا ، والدنيا الوسطى وهذه الفكرة في ربط الإسلام بالمستوى المعيشي الاقتصادي ليست حديثة بل إن المستشرقين حينما درسوا الدعوة الإسلامية حين بعثة الرسول ﷺ اهتموا بهذه

٣ــ بن يوسف . مرجع سابق ص ١٩ عن رسالة المؤتمر السادس للإمام حسن البنّا .

١ ــ عمار الطالبي . **عبدالحميد بن باديس ـ حياته وآثاره** . الجزائر : دار مكتبة الشركة الجزائرية ، ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ج ١ ص ٣٥٥ .

المسألة ليقولوا أو ليفهم عنهم بأن الإسلام جاء لإصلاح الأوضاع الاقتصادية لفقراء مكة أو فقراء الجزيرة العربية[٢].

ففي هذه المسألة نجد المستشرق شاروخ آخافي من جامعة ساوث كارولينا بالولايات المتحدة الأمريكية يتخذ من رجال الحركة الإسلامية في إيران نموذجًا لدراسة الحركة الإسلامية عامة فيقول: «إن هؤلاء الناس ينتمون في خلفيتهم إلى الطبقة الدنيا الوسطى الحضرية أصلاً. بمعنى أنهم أبناء لصغار التجار أو أصحاب حوانيت أو ذوي مهن حرة أو أنهم في جانب آخر أبناء أو أبناء عم لقرويين فقراء، وبمعنى آخر ذوو خلفيات ريفية»[٣].

ويربط الباحث هذه الخلفية الاجتماعية مع التنشئة الدينية ليزعم بأن هذا المزيج يجعل منهم منغلقين على أنفسهم ويكرهون الأجنبي بعنف، كما أنها تشير إلى محدودية عقولهم وضيق خبراتهم»[٤].

ويكتب باحث أمريكي آخر عن الخلفيات الاجتماعية للأصوليين (الحركة الإسلامية) فيذكر أنهم ينتمون إلى جميع الطبقات، ولكن تتركز معظم عضوية هذه الجماعات على «الطبقات الدنيا، والدنيا الوسطى، والوسطى والتي تتكون من صغار البرجوازية من سكان المدن والوافدين الجدد على المدينة من الفلاحين والريفيين، ويضيف هذا الباحث إلى أن الحركات الإسلامية تهتم أيضًا بطلاب الكليات والجامعات الكبيرة في المدينة ممن ترجع أصول الكثيرين منهم إلى أسر من المدن الصغيرة أومن قرى الريف.. وهناك مصادر أخرى للتجنيد في الجماعات الإسلامية هم أصحاب المحلات والعمال والمدرسون

---

٢ ـ Bernard Lewis. **The Arabs in History.** London: Hutchinson's University Library. Ist Ed. 1950, P. 39

٣ ـ خضر. مرجع سابق، الحلقة ١٠ المجتمع، عدد ٩٢٣ في ١ ذي الحجة ١٤٠٩ هـ ـ ٤ يولية ١٩٨٩م ص ٣١ والحديث للدكتور شاروه آخافي بجامعة ساوث كارولينا بأمريكا.

٤ ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

والجنود وموظفو المكاتب والمهندسون والأطباء وأبناء القبائل وضباط الجيش من أصحاب الرتب الوسطى[1] .

وحول مسألة محدودية تفكير أعضاء الجماعات الأصولية وضيق أفقهم التي ذكرت آنفًا فهناك من الباحثين من يرى غير ذلك فها هو د . اسبوسيتو أحد الذين تقدموا بتقرير إلى مجلس الكونجرس يذكر أن الحركة الإسلامية قد اجتذبت إلى أوساطها مجموعة من الشباب المثقف ثقافة عالية والمتفتح ، ويقول : « لقد قضيت من عشر إلى خمس عشرة سنة في العالم الإسلامي وتعاملت بصورة طيبة مع عدد من الذين يعرفهم العالم اليوم بأنهم نشطون إسلاميًا ، ووجدت أن الغالبية العظمى منهم ليسوا بالإرهابيين المتطرفين إن غالبيتهم ذات عقل متفتح قابل للنقاش والاتصال مع الغربيين »[2] .

الهوية الفردية والجماعية :

وفي إطار بحث المتخصصين بشؤون الشرق الأوسط الإسلامي في الحركات الإسلامية نجدهم يتحدثون في مسألة هامة جدًا ألا وهي الهوية الفردية والجماعية . ويعد الأصوليون أبرز من أثار هذه القضية في العالم الإسلامي . فيرى « دكمجيان » حدوث أزمة في الهوية الفردية والجماعية ، ونظرًا لأن الإسلام يؤلف نظامًا شاملاً للحياة يضم الدين والدولة والشريعة كان العثور على إطار بديل للشخصية أمرًا صعبًا إن لم يكن مستحيلاً[3] .

ويواصل هذا الباحث حديثه حول الهوية الإسلامية مشيرًا إلى قضية القوميات التي بدأت في الظهور بعد انهيار الدولة العثمانية والإيرانية ، ومن هذه القوميات التي برزت « القومية التركية والإيرانية والعربية »[4] .

---

١ ـ ريتشارد هرير دكمجيان . **الأصولية في العالم العربي** . ترجمة عبدالوارث سعيد . المنصورة : دار الوفاء ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م ص ٩٦ . (الملحق الثالث) .

٢ ـ خضر ، **المجتمع** الحلقة ٦ ـ العدد ٩١٩ في ٣ ذي القعدة ١٤٠٩ هـ ـ ٦ يونية ١٩٨٩ م ص ٤٤ .

٣ ـ دكمجيان . مرجع سابق ص ٥٠ . ٤ ـ المرجع نفسه ص ٥١ .

وقد سبق دكمجيان مستشرق آخر أثار مسألة الهوية في بحث نشره عام **١٩٧٦** م ذكر فيه أن المسلمين مهما اختلفت بلادهم ولغاتهم فإنهم يشتركون في تاريخ واحد وذكريات وماضٍ مشترك وفي الوعي بهوية واحدة تجعلهم يختلفون عن الغرب الذي يؤلِّف الوطن والقومية الأساس التاريخي لشخصيته ، ففكرة المواطنة ذات الصبغة العرقية أو الإقليمية مستوردة من الغرب »[١] .

أما العوامل التي أثرت في ظهور أزمة الهوية فهي كما يلي :

١ ــ أزمة الشرعية .

٢ ــ الفساد والقهر في حكم النخبة ـ وهذه النخبة ذات قاعدة شرعية ضعيفة .

٣ ــ صراع الطبقات ويفرد دكمجيان ذلك بقوله « كان أول نتائج نقص كفاءة النخبة وفساد حكمها هو تزايد سوء التوزيع في الثروة في كل قطر عربي تقريبـًا » . ويضيف بأنه على الرغم من الوعود التي قدمتها النخبة خلال عشرات السنين فإن عددًا كبيرًا من الحكومات العربية قد فشل في إقامة عدالة اجتماعية[٢] .

٤ ــ العجز العسكري .

٥ ــ التحديث والأزمة الثقافية ، ويشير دكمجيان وغيره إلى أن التحديث كان تابعـًا « بسبب الرغبة في تقليد الغرب للحصول على القوة العسكرية والنمو الاقتصادي . . وقد كان التحديث فاشلاً ومقلقـًا كما أنه تسبب في اتساع شقة الخلاف بين التقليديين والتحديثيين نظرًا لأن التحديث ينطوي على استيراد القيمة والأنماط السلوكية الوافدة »[٣] .

ويؤكد هذا باحث آخر سبقه إلى هذه النتيجة منذ عام **١٩٦٣** م بقوله : « إلا أن أكثر التغيرات الجذرية العنيفة التي حدثت قام بها (متغربو) الشرق

---

١ ــ لويس . عودة الإسلام ، مرجع سابق **مجلة الدعوة** عدد ٨٦ ص ٤٢ .

٢ ــ دكمجيان ، المرجع السابق ص ٥٥ .

٣ ــ المرجع نفسه ص ٥٧ .

الأوسط من الحكام الشرقيين بعزم وشجاعة ومغامرة لأنهم نشدوا تطبيق الأساليب الأوروبية في الوصول إلى القوة ، وحاول التجار تطبيق التكنيكية الغربية في جمع الثروة . .»[٤]

السمات الشخصية للأصوليين :

ولعل من أبرز الموضوعات المطروحة للنقاش والبحث في دراسات المستشرقين أو السياسيين الأمريكان السمات الشخصية للإنسان المسلم الذي ارتبط بالحركة الإسلامية أو ما يطلقون هم عليه الأصوليين . ومن أبرز هذه السمات التي يلصقونها بالأصولي (المسلم : الملتزم المتدين) التعصُّب[٥] . وفي الدراسة التي قدمها دكمجيان نجده قد حشد العديد من المراجع العلمية الغربية في علم النفس والاجتماع ليطبقها على عضو الحركة الإسلامية ، كما أنهم استفادوا من الدراسات التي كتبها بعض المسلمين مثل دراسة الدكتور القرضاوي عن التطرف[١] ولنرى ماذا يقولون في مسألة التعصُّب .

يرى دكمجيان أن التعصُّب أو روح التعصُّب هو من سمات الفئة المتطرفة من الحركة الإسلامية ولكنه بعد أن يبدأ في شرح هذه الصفة يعود فيلصقها بكل أفراد الحركة الإسلامية ، والتعصُّب في نظر دكمجيان يظهر في السمات التالية :

١ ــ العزلة : الأصولي قبل كل شيء فرد يميل إلى العزلة ، وهذه العزلة إنما هي نتيجة لبيئة الأزمة العربية ــ الإسلامية .

٢ ــ الاكتمال قبل الأوان .

« ما إن يكتشف المهتدي الجديد العقيدة الجديدة حتى يلتزم بها التزامًا تامًا كالمؤمن الحق . وفي حالة الشباب المهتدين يؤدي الالتزام الحاد إلى

---

٤ ــ لويس ، **الغرب والشرق الأوسط** ص ٤٨ .

٥ ــ انظر الملحق الثاني .

١ ــ يوسف القرضاوي . « ست علامات للتطرف الديني » **العربي** (يناير ١٩٨٢ م من ص ٣٢ - ٣٦) .

« الاكتمال قبل الأوان » وفي سن مبكرة يتميز بتشدد متطرف من المعتقدات ورفض لإدخال قيم جديدة في إطارهم المذهبي .

٣ ــ الدونية ــ الاستعلاء . . ومشاعر الدونية هذه تتحول إلى مظاهر من الاستعلاء العدواني بمجرد أن ينضم إلى العقيدة الإسلامية .

٤ ــ الحركية العدوانية .

يميل الأوصوليون إلى العدوان في تعاملهم مع الكفار ، وغالبًا مع النمط السائد من المسلمين كتعويض لحرمانهم في المجتمع ولاعتقادهم بأن كلّ من ليس في جماعتهم إنما هو ضال .

٥ ــ الفاشية : تنطوي شخصية الأصوليين على كثير من الملامح التي تميز الشخصية الفاشية .

٦ ــ عدم التسامح .

٧ ــ الارتيابية ــ الإسقاط : المتعصِّب ميال إلى رؤية « القوى » الشريرة تعمل في بيئة معادية ويظهر عليه ارتياب عميق في الناس وفي المؤسسات الحكومية التي ينسب إليها نوايا حاقدة .

٨ ــ نظرية تـآمرية .

٩ ــ المثالية : يظهر الأصوليون الإسلاميون مؤمنين مخلصين يمثلون أرفع معنى للمثالية .

١٠ ــ القسوة ــ الجرأة : يبدو على الأوصوليين التصلب في الطاعة والتشدد في طريقة الحياة ، والاستعداد للكفاح والتضحية .

١١ ــ الطاعة ــ الالتزام : يتعهـد الأصولي عن طريق البيعة بالطاعة المطلقة لله وللرسول ولقائد الحركة الآسر .[١]

---

١ ــ دكمجيان ، المرجع السابق ص ٥٩ ـ ٦٣ .

نظـرة في مزاعمهم :

بعد أن أوردنا الصفات التي يزعم ريتشارد دكمجيان وغيره أن الأصوليين يتصفون بها وأوردنا تفسيره لبعضها نرى أنه لا بد لنا أن نتأمل بعض ما ذكره من صفات ، ونترك الصفات الأخرى فمن له معرفة صحيحة بالإسلام لا بد يستطيع أن يرد عليها .

فالتعصُّب ؟ أيصح أن يتعصَّب الأوروبي لأفكاره ومبادئه ويحارب العالم أجمع بشتى الوسائل ليفرضها ؟ . أيصح أن تدخل أمريكا والقوى الغربية في مواجهة حربية تبيد عشرات الألوف من سكان جنوب شرق آسيا بزعم فرقة منهم ــ الأمريكان ــ حماية حرية الإنسان ، والفرقة الثانية ــ الشيوعية ــ بحجة تحقيق العدالة الاجتماعية في الأرض ؟ . هل كان يصح لروسيا ستالين أن تبيد الملايين لنشر الفكرة الشيوعية في روسيا وتبيد مئات الألوف في الأرض للغرض نفسه[٢] ؟ . ولكن حين يعتز المسلم بإسلامه ويدعو قومه أولاً للعودة إلى الطريق الصحيح يصبح متعصبًا متطرفًا في أنظارهم . لماذا هذه المعايير المزدوجة ؟ . إن المسلم وعنده كتاب ربه الكريم يتعلم منه ويصيخ لأوامره ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾[٣] وليعلموا من هذا الكتاب العظيم ما نزل في قوم شعيب ﴿ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٤] فهذا المستشرق جعل التعصُّب مفتاحًا لشخصية الأصولي ومنها انطلق ليوضح مظاهر التعصُّب ولنسر معه خطوة خطوة في مسألة التعصُّب .

---

٢ ــ محمد العزالي . **الاسلام في وجه الزحف الأحمر** . ط ٥ . القاهرة : المختار الإسلامي . ١٣٩٥ ــ ١٩٧٥ .

٣ ــ سورة المائدة آية ٨ .

٤ ــ سورة هود آية ٨٥ .

أولا : العزلة :

إن المسلم لايمكن أن يكون انعزاليًّا ، وكيف يكون انعزاليًّا وآيات القرآن الكريم تدعوه إلى حمل هذه الرسالة إلى الناس أجمعين ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ويقول الرسول ﷺ « نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فربّ مبلِّغ أوعى من سامع أو قال رُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه »[١] وحين أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى خيبر وقال له « لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حُمر النعم »[٢] والمسلم الذي جعل الرسول ﷺ قدوته يعود إلى سيرته الشريفة فيرى كم لاقى من الصعوبات والمواقف الصعبة وهو يعرض نفسه على القبائل في المواسم أو ما لقي حين ذهب إلى الطائف . فكيف يكون انعزاليًّا منْ هذه ثروته الفكرية والعلمية . ونضيف إلى أن الانعزالية وكره الأجنبي صفة أطلقها المستشرقون الفرنسيون على التعليم الإسلامي في جمعية العلماء المسلمين في الجزائر (Xenophobic)[٣].

ثانيا : الاكتمال قبل الأوان ـ التعصب :

إن من مزايا هذا الدين أنه حين بعث نبيه الكريم كان أول من استجاب له الشباب . والشباب عادة هم أكثر الناس حماسة وحيوية وفتوة . فالشيوخ وكبار السن قد تمكنت منهم العادات والتقاليد وهم الذي نزل القرآن يحكي موقفهم : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٤] . ويرد

---

١ ـ حديث صحيح أخرجه الترمذي تحت رقم ٢٦٥٨ .

٢ ـ رواه مسلم ـ مختصر مسلم حديث ١٦٤٠ .

٣ ـ Richement, F. de. Les Ulema Algeriens Reformists, **La Nouvelle Revue Française, D'outre Mer.** No. 7-8 July-August 1955.

٤ ـ الزخرف آية ٢٣ .

عليهم القرآن ساخرًا منهم هذا الموقف الجاهل ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٥] . وقد كان معظم من اتبع الرسول ﷺ في بداية الدعوة من الشباب ، ولو راجعنا أسماء من كان يجتمع بدار الأرقم بن أبي الأرقم لتأكد لنا ذلك . ومما يدل على إقبال الشباب على الحق ذكر الله عز وجل لأصحاب الكهف ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴾[٦]

واستمر إقبال الشباب على هذا الدين وبذل الغالي والرخيص من أجله حتى إذا كان لقاء العدو انطلق الشباب يتنافسون على دخول المعركة . ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في بدر وأحد والأحزاب . . بل إن الرسول ﷺ ولى أسامة بن زيد قيادة الجيش إلى الروم وفيه أبوبكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين . فليقل الباحثون الأمريكان ما يريدون عن هذه المسألة . هل يريدون لشبابنا أن لا يهتم الواحد إلَّا بسيارته أو بالسيارات عمومًا أو بنجوم الرياضة أو نجوم السنما والتلفاز والفديو؟ هل يريدون لشبابنا أن يقعوا ضحية الغناء المستورد الصاخب؟ وصرخات الموضة في اللباس والهيئة؟ أو صرعى المخدرات؟

ثالثا : الدونية ـ الاستعلاء :

إن الابتلاء من سنن الله عز وجل في جميع الدعوات التي تنطلق من وحي السماء . ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ ﴾[١] فهم في دعوتهم وإن كانوا أذلة في نظر أعداء دعوتهم إلا أنهم لهم العزة عند الله عز وجل ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢] فاستعلاؤهم بالحق وللحق وليس استعلاء الباطل والقوة

---

٥ ـ البقرة آية ١٧٠ .
٦ ـ الكهف آية ١٣ .
١ ـ الأنفال الآية (٢٦) .
٢ ـ آل عمران الآية (١٣٩) .

والجبروت . ماذا يقول المستشرقون عن استعلاء الأمريكان الذي يشهده الناس في أماكن متعددة ، والذي شاهد صاحب هذه السطور نموذجًا منه[٣] .

رابعا : الحركية ـ العدوانية :

إنه من أجل استعداء العالم ضد الإسلام والحركة الإسلامية أتى المؤلف بهذه الصفة التي لا تحمل من الحقيقة شيئًا . فالأصولي أو عضو الحركة الإسلامية وإن رأى في أعدائه الضلال حريص على دعوتهم إلى الإسلام . فقد واجه الرسول ﷺ صلف قريش وكبرياءها وعنادها باللين والرحمة حتى وصفه الله عز وجل بأنه رحمة للعالمين﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤] وقوله عز وجل ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾[٥] وما كان حرب المسلمين للمشركين إلا ردًا على كراهية المشركين وقتالهم للمسلمين ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ﴾[٦] .

خامسا : عدم التسامح :

ونكتفي في هذه النقطة بتعليق المترجم (عبدالواث سعيد) في حاشيته حيث يقول : « واضح أن المؤلف يريد أن يبث الخوف الشديد من الإسلاميين في قلوب غير المسلمين وفي قلوب عامة المسلمين ، وكذلك في قلوب الحكام وأصحاب السلطان في بلاد المسلمين وهذا الاتجاه من أبرز ما يستخدمه الغربيون ـ وأزلامهم في بلادنا ـ لحرب الجماعات الإسلامية وتأليب الناس عليها »[٧] .

---

٣ ـ جاء برفسور (أمريكي يدرِّس في إحدى كليات الطب في أمريكا إلى إيطاليا لتسجيل ابنه في جامعة روما وفي الفندق الذي نزل فيه طلب بعنجهية وكبرياء من مدير الفندق وصاحبه أن يصحبه إلى الجامعة مترجمًا ، فأبت كرامة الإيطالي أن يقبل القيام بهذا العمل للأسلوب الذي خوطب به .

٤ ـ الأنبياء الآية (١٠٧) . ٥ ـ آل عمران (١٥٩) .

٦ ـ التوبة الآية (٣٦) . ٧ ـ دكمجيان ، مرجع سابق ص ٦١ .

وليرجع هذا المؤلف ومن يحمل أفكارًا مثل أفكاره إلى كتب الغربيين أنفسهم ليعرف معنى التسامح الحقيقي في سلوك المسلمين ويكفي ما قاله أحد المستشرقين المنصفين « لم يعرف العالم في تاريخه فاتحًا أرحم من العرب » وكتاب توماس آرثولد « الدعوة إلى الإسلام » واحد من هذه الأدلة .

سادسا :

ليست الطاعة في الحركة الإسلامية لشخص القائد أو الزعيم « آسرًا » كان أو غير آسر . ولو كان الكاتب (دكمجيان) يريد الحقيقة لرجع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] الآية . ولرجع إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[2] . ولننظر إلى بيعة العقبة حينما سأل وفد المدينة من الأوس والخزرج : ما لنا يا رسول الله إن نحن وفَّينا ببيعتنا فقال لهم ﷺ : لكم الجنة . فلم يطلب الأنصار غير ذلك[3] . فليس في الإسلام طاعة عمياء كما أدخلوا إلى مناهجنا وفكرنا كقولهم نفِّذ ثم اعترض .

لو كانت المسألة طاعة عمياء لما أشار بعض الصحابة ممن لم يحضر بدرًا الكبرى ، وشباب الصحابة رضوان الله عليهم على الرسول ﷺ يوم أحد أن يخرجوا لمقابلة العدو . وإن كان رأي النبي ﷺ أن يتحصنوا بالمدينة . ولكنه نزل عند رأي هؤلاء الداعين إلى الخروج[4] ليعلمهم الشجاعة في إبداء الرأي والصلابة في تحمل تبعات الرأي والاجتهاد .

ولنحسم الأمر بما قاله رسول الله ﷺ « **إنما الطاعة في المعروف** »[5] وقوله صراحة « **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** »[6] وجعله سبحانه الطاعة في كتابه مقيدة بطاعة الكتاب وطاعة السنة بتقديم طاعة الله ورسوله على طاعة أولي الأمر وإسقاط لفظ الطاعة في العبارة الأخيرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

١ ــ سورة التوبة الآية (١١١) .
٢ ــ سورة الفتح الآية (١٠) .
٣ ــ سيرة ابن هشام المجلد الأول ص ٤٣٣ .
٤ ــ المرجع نفسه المجلد الثاني ص ٦٣ .
٥ ــ صحيح مسلم حديث ١٢٢٥ .
٦ ــ حديث صحيح أخرجه الترمذي تحت رقم ٢٦٥٨ .

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[٧] وهكذا الطاعة في الإسلام طاعة مقيدة (في المعروف) وفي الوقت نفسه طاعة موضوعية (مرتبطة بالمنهج لا بالأشخاص). وقد أكد أبو بكر المعنى الأخير بقوله «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»[٨].

أهداف الحركة الإسلامية (في نظرهم):

ويرى أحد المختصين في متابعة الحركات الإسلامية أن هذه الحركات تسعى لتحقيق الأهداف التالية:

١ ــ إسقاط النظم القائمة واستبدالها بنظم إسلامية.

٢ ــ القضاء على النفوذ الغربي وبخاصة الأمريكي في البلاد الإسلامية أو التقليل منه.

٣ ــ جعل الشريعة الإسلامية مصدرًا للتشريع وأن يتجاوز تطبيقها المسائل الشخصية إلى السياسة والاقتصاد والاجتماع.

٤ ــ السعي إلى تكوين نماذج اجتماعية سياسية يتمثلها الناس على المستوى العام والشخصي ويعني ذلك وجود القدوة ليس في الدين والعبادة فقط كما أشار أحد المستشرقين بل في جميع شؤون الحياة.

٥ ــ الطمع في نوع من الحياد بين القوى العظمى المتصارعة[١].

ولهؤلاء المختصين تفصيلات في هذه المسائل حيث يقسّمون الحركات الإسلامية إلى أقسام يصنفون بعضها بأنه متطرف وعنيف ويسعى إلى تحقيق هذه الأهداف بالقوة والعنف أو كما أشرنا آنفًا عن أحدهم أنه قسّم الحركة الإسلامية إلى قسمين الانعزالية والاندماجية فيكون بذلك القسم الداعي إلى العنف هو الانعزالي بينما القسم الذي يدعو إلى تحقيق هذه الأهداف بالعمل الهادئ المتزن هو الاندماجي.

---

٧ ــ سورة النساء الآية (٥٩). ٨ ــ ابن الأثير. الكامل. المجلد الثاني ص ٢٢٥.

١ ــ خضر. الإسلام والكونجرس. مرجع سابق الحلقة الرابعة العدد (٩١٧) في ١٨ شوال ١٤٠٩ هـ ــ ٢٣ مارس ١٩٨٩ م ص ٤٥ والحديث للدكتور السفير إيليتس.

القسم الثاني

نظرة الحركة الإسلامية إلى الغرب (أمريكا)

تقديم :

يهتم الغربيون اهتمامًا كبيرًا بالموقف الذي تتخذه الحركة الإسلامية منهم وذلك لوضع التخطيط اللازم لاحتواء هذه الصحوة بل وضربها (إن استطاعوا) ، وفي نطاق هذا الاهتمام يدرسون موقف البلاد الإسلامية من الغرب جميعًا من الناحية التاريخية ، فيرى أحد المستشرقين الأمريكان أن كراهية المسلمين كانت منصبَّة على الإنجليز والفرنسيين لأنهم دخلوا البلاد الإسلامية بجيوشهم محتلين مستعمرين ، وزال الاستعمار العسكري وبقيت ألوان من الاستعمار الفكري والثقافي . وظل الأمريكان خارج دائرة الكراهية والبغض زمنًا طويلاً . بل إن المسلمين كانوا ينظرون إلى الأمريكان نظرة فيها الشيء الكثير من الاحترام وبخاصة عندما أعلن الرئيس الأمريكي ويلسون في أعقاب الحرب العالمية الأولى نقاطه الأربعة عشرة حول حرية الشعوب في تقرير مصيرها[1] .

ولكن أمريكا تغيّر موقفها ولم تعد حامية الحريات والحقوق بل التف اليهود والصهاينة على ساستها ، كما أن طبيعة الاستعمار والإمبريالية التي ورثوها عن أوروبا بدأت بالظهور شيئًا فشيئًا فدخلت أمريكا الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء وعسكرت جيوشها في بعض البلاد الإسلامية ، ولكن الاهتمام الفعلي بأحوال الشرق الأوسط ودوله لم تظهر إلا في الخمسينات من هذا القرن الميلادي (١٣٧٠ ـ ١٣٨٠ هـ) . ولم تبدأ دراسات الشرق الأوسط بقرار أكاديمي علمي وإنما كانت فكرة الاهتمام هذه نابعة من وزارة الدفاع

---

١ ـ خضر ـ مرجع سابق الحلقة (٢) العدد ٩١٥ في ٢٧ رمضان ١٤٠٩ هـ ـ ٢ مايو ١٩٨٩م ص ٤٥ ـ السفير هيرمان إيليتس .

الأمريكية[٢] . ويؤكد هذا كتاب (لعبة الأمم) عندما أبلغت بريطانيا أمريكا عجزها عن مواصلة دورها الاستعماري في اليونان وتركيا فقررت عندها الحكومة الأمريكية أن تحل محلها ، ووجدت أمريكا أنها لا تملك رصيدًا من المختصين في شؤون العالم العربي سوى بعض علماء الآثار والمنصّرين ؛ لذلك أسرعت في تجنيد طاقاتها من الدبلوماسيين والأمريكان الذين كانوا يقومون بمهمات ثقافية وإعلامية في الخارج[٣] .

أما الحركة الإسلامية وهي الحريصة على مصالح الأمة الإسلامية وهم الطبقة المثقّفة الواعية في البلاد الإسلامية أدركت خطر النفوذ الأجنبي إدراكًا صحيحًا ؛ لذلك اتجهت دراسات المستشرقين إليهم أكثر من غيرهم ، وإن الباحث في التقارير السرية لإدارة الاحتلال في الجزائر - مثلاً - يجد أن الحركة الإسلامية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنال النصيب الأوفى من الاهتمام . فهي عادة أول ما يذكر في هذه التقارير وإنهم كانوا يصرحون أحيانًا بأن الإسلاميين هم الخطر الحقيقي على الوجود الاستعماري الفرنسي في شمال أفريقيا[٤] .

أسباب معاداة الحركة الإسلامية لأمريكا (من وجهة نظرهم) :

أما في دراستنا الحالية (الإسلام والكونجرس) فإن السفير الأمريكي السابق هيرمان إيليتس يذكر أن عداء الحركة الإسلامية لأمريكا لعدة أسباب وهي :

---

٢ ــ يراجع د . عفيف عبدالرحمن . الدراسات العربية والإسلامية في أمريكا . **الفيصل** العدد ٤٩ رجب ١٤٠١ هـ - مايو ١٩٨١ م . من ص ١٨ - ٢٣ ودراسة أخرى

Robert Devereux. A note on Middle Eastern Studies in United States. **Islamic Quarterly,** London 1963, pp, 95-102

٣ ــ مايلز كوبلاند - **لعبة الأمم** . ترجمة مروان خير . بيروت . انترناشيونال سنتر ١٩٧٠ م ص ٦١ ، ٦٤ .

٤ ــ مطبقاني ، مرجع سابق .

١ ـ عدم صدق الولايات المتحدة في ادعاءاتها بأنها نصيرة للحرية ولحقوق الإنسان ؛ ذلك أنها لا تختلف عن الاستعمار الأوروبي من قريب أو بعيد .

٢ ـ سياسة التوفيق الإسلامي ـ الأمريكي مع الأصوليين لا تصلح أبدًا لأنها ضد قيمهم ومسؤولياتهم .

٣ ـ إدراك الأصوليين بأن الولايات المتحدة تؤيد تمامًا كل أهداف إسرائيل التوسعية .

٤ ـ الولايات المتحدة في نظر الأصوليين هي أكبر الدول الغربية التي تصدّر كل أشكال المدنية الغربية الفارغة من القيم الدينية والروحية .

٥ ـ إدراك الأصوليين لدور المخابرات الأمريكية في كل ما تقوم به الحكومات الإسلامية من قمع للحركات الإسلامية .

٦ ـ نظرة الأمريكان المتعالية للثقافات الأخرى بأن كل ثقافة عدا ثقافتهم متأخرة وعتيقة .

٧ ـ معاملة الأمريكان للإسلاميين معاملة فيها شيء من التظاهر .

٨ ـ الوجود الرسمي وغير الرسمي للأمريكيين في الدول الإسلامية « سبب لنشر الأمراض الاجتماعية والاقتصادية »

٩ ـ إدراك الأصوليين أن أهمية بلادهم وشعوبهم بالنسبة للأمريكان تتحدد في حدود قضية الصراع بين القوى العظمى[1] .

ويلتقي مع بعض هذه النقاط ما كتبه ريتشارد هرير دكمجيان في كتابه « الأصولية في العالم العربي » وإليك هذه النقاط :

أ ـ الدعم الفعلي غير المشروط لإسرائيل ، وهذا يطيل أمد الضعف العسكري العربي الذي يتزايد نتيجة الحضور العسكري الأمريكي في عدد من الدول العربية .

ب ـ دعم الأنظمة العربية ذات التوجه العلماني بسبب توجهها الموالي لأمريكا .

---

١ ـ خضر ـ الإسلام والكونجرس (٤) مرجع سابق .

جـ ـ انتشار القيم وطرائق الحياة الغربية الأمريكية التي تعد مخالفة للإسلام .

د ـ الإصرار على سياسات اقتصادية تزيد من سوء توزيع الدخل في البلاد العربية[٢] .

ويبدو أن التشابه في هذين التقريرين ليس مصادفة فإن دكمجيان قد عرض كتابه مخطوطًا على هيرمان إلتيس قبل أن يدفعه إلى المطبعة وأفاد من مقترحاته وأرائه[١] . كما أن التشابه يدل على تشابه النظرة للحركة الإسلامية . أما ما ذكره الاثنان من دور المخابرات المركزية في قمع الأنظمة العربية والإسلامية للأصوليين فما كانت أمريكا لتفعل ذلك دعمًا للأنظمة العربية الموالية لها حبا لها وحرصًا على استمرارها . ولكن خوفًا من يقظة هذا المارد الذي تخشاه أمريكا . ذلك أن الأمريكان كما يصرحون في لعبة الأمم ليس لديهم مانع من تغيير الأحصنة ـ كما يقولون ـ بين عشية وضحاها . فأي حاكم يخرج قيد أنملة عن تعليمات أمريكا حقيقة وليس ظاهرًا فإنه ينقلب إلى عدو ولا بد من التخلص منه . وهذا ما استنتجه د . أحمد إبراهيم من الحوار الذي دار في مجلس الكونجرس بقوله : « وهذا مؤشر آخر يؤكد أن الأمريكيين يعنيهم في المقام الأول الحرص على مصالحهم أكثر من حرصهم على بقاء الأنظمة القائمة ، ذلك لأن الحركة الإسلامية قد كشفت للأمريكيين عن عظمة قوة الإسلاميين أو توازنها مع قوة الأنظمة القائمة في توجيه الخط العام للبلاد »[٢] .

التقارير وعدم مصداقية أمريكا في ادعائها أنها نصيرة الحرية وحقوق الانسان :

لا شك أن هناك درجة من المصداقية في تحليل الباحثين الأمريكان لموقف الحركة الإسلامية من الغرب ومن أمريكا بالذات ، ولكن هذا التحليل يركّز

---

٢ ـ دكمجيان ، مرجع سابق ص ٢٣٩ .

١ ـ المرجع نفسه ص ١٤ .

٢ ـ خضر ، مرجع سابق الحلقة (٦) ص ٤٥ .

على جوانب معينة من هذه النظرة وهي مصالح الولايات المتحدة والتي لا تحددها التقارير ولذلك لنرجع إلى بعض ما يراه الأمريكان مكونات نظرة الأصوليين نحو أمريكا .

أولا : الزعم الأمريكي بأن الولايات المتحدة نصيرة الحرية وحقوق الإنسان :

كيف يتصور إنسان أن تكون أمريكا أو الحضارة الغربية بعامة نصيرة الحرية وحقوق الإنسان وهي وريثة اليونان وروما . إن روما التي كانت تقسم العالم إلى طبقتين الرومان وبقية سكان الأرض ، ثم تزيد في التفرقة فتجعل سكان مدينة روما في طبقة وحدهم ينفردون بجميع الحقوق المدنية والسياسية بينما سكان إيطاليا ليس لهم إلا الحقوق المدنية[٣] . وما كان اليونان بأفضل من ذلك . أما الأمريكان فهم الذين بنوا مجدهم وحضارتهم على جماجم الهنود الحمر . إن الإدعاء شيء والحقيقة شيء آخر .

كيف للأحفاد (أحفاد روما واليونان) أن يأتوا اليوم بحقوق الإنسان وحريته ويزعموا تفوقها على ما جاء من عند الله . إن حقوق الإنسان ارتفعت عند المسلمين من درجة الحقوق إلى درجة الحرمات في قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** . . »[١] والحرية في نظر الإسلام هي أسمى ما جاءت به هذه العقيدة إلى البشرية جمعاء حيث نفت كل عبودية سابقة أو لاحقة وجعلت الإنسان عبدًا لله وحده . فمتى انتفت كل أنواع العبوديات عدا العبودية لله الواحد الأحد كان الإنسان أعظم حرية حتى من رئيس الولايات

---

٣ ــ انظر جمال عبدالهادي مسعود ووفاء محمد رفعت . **أوروبا منذ أقدم العصور (دولة الروم)** جدة : دار الشروق (ت . ب) ص ٤٣ ــ ٤٤ .

١ ــ علي محمد جريشة . **حرمات لا حقوق ــ حقوق الإنسان في ظل الإسلام** . دراسة مقارنة القاهرة : دار الاعتصام (ت . ب) ص ١١ .

المتحدة أو من زعيم الكرملين ، وكان أكثر حرية من كسرى وقيصر . بل إن الحرية التي كان يتمتع بها بلال الحبشي - رضي الله عنه - وهو يتعرض للتعذيب من صناديد قريش جعلته يستهين بكل آلام الدنيا من أجل تلك الحرية التي دعاه إليها الإسلام . فكيف إذن ستكون أمريكا نصيرة لحقوق الإنسان وهي لا تملك المفهوم الحق لها ؟

ثانيا : تأييد أمريكا لاسرائيل :

هل يرى الإسلاميون أن أمريكا يمكن أن تتخلى عمّا هي عليه من تأييد إسرائيل وهم يرون سيطرة اليهود العجيبة على أمريكا . وليس الإسلاميون هم أصحاب فكرة سيطرة اليهود على أمريكا ، بل إن الأمريكان أنفسهم قد أدركوا هذا منذ زمن بعيد ؛ فهذا كتاب « اليهودي العالمي » يوضح هذه الفكرة بعد دراسة وبحث دقيقين[٢] . بل ويزيد الأمر وضوحًا نصيحة بنجامين فرانكلين التي قدمها للأمة الأمريكية يقول فيها : « هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك الخطر هو اليهودي . . . اليهود خطر على هذه البلاد ، وإذا سمح لهم بالدخول فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا ، يجب استثناؤهم من الهجرة بموجب الدستور . . . »[٣]

وليس من حاجة إلى دليل على استشراء أو استفحال النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة ولكن من يزور الولايات المتحدة وتتاح له الفرصة للحديث مع أهلها يستمع عجبًا ، فقد التقى كاتب هذه السطور مجموعة من الشباب الأمريكي فلما عرفوا أنني من السعودية تحدثوا عن اليهود وسيطرتهم على كل شيء في أمريكا من السياسة إلى الإعلام إلى الاقتصاد . . إلخ . وكان ذلك قبل

---

٢ ـ انظر هنري فورد . **اليهودي العالمي ـ المشكلة الأولى التي تواجه العالم** . تعريب خيري حماد . بيروت . المكتب التجاري .

٣ ـ عبدالله التل . **خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية** . ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ص ٢١٠ عن Capt. Ramsay, The Nameless War, London, 1952.

تسعة عشر عامًا . وفي زيارة لمدينة برنستون قبل بضعة أشهر التقيت امرأةً عجوزًا فعرفت أنني عربي مسلم فذكرت اليهود وامتدحت ما فعله هتلر بهم وتحدثت عن اليهود بحنق وغضب .

ثالثا : الأمريكان والأمراض الاجتماعية :

إن ما تشكو منه أمريكا في بلادها من البلايا والمحن كثير جدًّا ، فمن ذلك على سبيل المثال المخدرات التي انتشرت انتشارًا فظيعًا حتى وصلت إلى طلاب المدارس الابتدائية ، وهناك الانحلال الخلقي والجنسي والجريمة ، ولأمريكا وسائل وأساليب عجيبة في تصدير هذه الآفات إلى المجتمعات الإسلامية ليس هنا محل بحثها[1] .

رابعا : مساعدة الأنظمة العربية على إحكام السيطرة على الحركة الإسلامية :

ويشير السفير الأمريكي ايليتس إلى ذلك بقوله : «وقد رآنا الإسلاميون بأننا منافقون ومعادون لهم ، لقد كانت تأتينا تقارير من الشرق الأوسط تربط بين زيارة بوش للخرطوم وبين ضرب نميري للإخوان المسلمين[2] .

ومن الأمور التي اهتمت بها التقارير والدراسات الأمريكية نظرة الحركة الإسلامية إلى علماء الدين الإسلامي المرتبطين بالحكومات ، فالحركة الإسلامية ترى أن هؤلاء العلماء بمسايرتهم لحكوماتهم وضلوعهم في إصدار الفتاوى حسب الطلب « مسؤولون عن إفساد المعنى الحقيقي للإسلام ؛ لأنهم ، أي العلماء ، بتبعيتهم للدولة قد وظَّفوا الإسلام لخدمة مصالحهم الخاصة » . ويضيف السفير الأمريكي السابق إيليتس بأن هذه واحدة من أسباب احتجاج الأصولية الإسلامية . « وحينما ننظر إلى الأصولية في حدود تهديدها للغرب وللولايات المتحدة يجب أن نتذكر هذا الجانب وهو عدم ارتياحهم للعلماء الدينيين الرسميين ، فكل حركة أصولية تريد أن تصحح شيئًا في هذا الصدد ، وقد

---

١ ــ كمال كامل نمر . **أضواء على أحوال خير أمة أخرجت للناس في أمريكا** . بيروت : دار البشائر الإسلامية ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م ص ٤١ ـ ٤٣ .

٢ ــ خضر . مرجع سابق الحلقة ٦ ص ٤٥ .

يكون ذلك أمرًا أوليًا أو ثانويًا لكنه يجب أن يكون في قمة الأمور التي يجب أن توضع في الاعتبار »[٣] .

وفي بحث قدمه دكمجيان نجد أن الباحث يعود إلى التاريخ الإسلامي ليقدم قائمة بالعلماء الذين وقفوا في وجه الحكومات أو الأنظمة الحاكمة فيذكر الإمام أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وابن حزم وابن قيم الجوزيه والإمام السنوسي والشيخ محمد بن عبدالوهاب . ويقول دكمجيان في هذا الخصوص « هذا الصراع يضع العلماء أصحاب المناصب الكبيرة التي تعينهم الحكومات وتدعمهم ـ غالبًا ـ في مواجهة قادة الجماعات الأصولية ، أصحاب المذهبية والممثلون للإسلام الجماهيري ، ويأتي الصراع من اختلاف أوضاعهم الاجتماعية والوظيفية »[٤] .

وفي الحقيقة ليس هناك إسلام جماهيري وإسلام للخاصة إنما هي السياسة إذا انحرفت وانحرف معها نفر من العلماء باعوا دينهم بدنيا غيرهم كان لا بدّ من ظهور فئة تبيع نفسها لله تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا . وأما مسألة العلماء الرسميين فإن الغرب عندما احتل بعض البلاد الإسلامية وكان أول من وقف في وجهه هم العلماء لجأ إلى أسلوب ماكر بأن بدأ في اصطفاء مجموعة من العلماء أو أشباه العلماء فقرَّبهم إليه وأخذ يغدق عليهم المناصب والعطايا حتى أصبحوا أداة طيّعة في يده . ولنضرب المثل في الجزائر فقد وجد فيها أثناء الاحتلال مجموعة من علماء الدين الرسميين الذين ساروا في ركاب الاستعمار وإن كان بعض هؤلاء من المتصوفة الخرافيين وحاول الاستعمار من خلال هؤلاء السيطرة على الشعب الجزائري ولكن أنّى له ذلك فقد قيّض الله للجزائر علماء عاملين كان على رأسهم الشيخ عبدالحميد بن باديس الذي أخذ عليه شيخه حمدان الونيسي أن لا يقبل الوظيفة مطلقًا حتى لا تكبله الوظيفة وتمنعه من أداء رسالته وكذلك كان[١] .

---

٣ ـ المرجع نفسه الحلقة ٢ ص ٤٥ . ٤ ـ دكمجيان . مرجع سابق ص ٢٨ ـ ٤٥ .
١ ـ مازن مطبقاني . **عبدالحميد باديس العالم الرباني والزعيم السياسي** . (سلسلة أعلام

القسم الثالث
سياسة أمريكا نحو الحركة الإسلامية

مصادر المعرفة عند أمريكا حول الأصوليين :

هناك عدة مصادر لمعرفة سياسة أمريكا نحو العالم الإسلامي ولا سيما الحركات الإسلامية فيه ، ومن هذه المصادر الصحافة الأمريكية . ولقد كان للثورة الإيرانية دوي في هذه الصحافة مما جعلها تلتفت بشكل مكثف ومركز لمتابعة الصحوة الإسلامية . فمن بين الكم الهائل من الكتابات الصحافية يذكر مؤلف كتاب « الصحوة الإسلامية في نظر الغرب » الذي صدر في أمريكا العام الماضي عدة صحف أشهرها ما يلي :

١ ــ تقرير صحيفة وول ستريت جورنال The Wall Street Journal في سلسلة حلقات بعنوان « الإسلام يتحرك » .

٢ ــ دراسة بعنوان « السياسة باسم الله » Politics in the Name of God في صحيفة كريستيان سينس مونيتور Christian Scince Monitor في نوفمبر ١٩٧٨ م .

٣ ــ نشرت جريدة شيكاغو تربيون Chicago Tribune في نوفمبر من العام نفسه مقالاً بعنوان « الإسلام رياح التغيير » . وقد حذت الصحف الأوروبية حذو الصحافة الأمريكية في هذا المجال[1] .

أما المصدر الثاني من مصادر المعرفة الأمريكية للحركة الإسلامية فهي الدراسات الأكاديمية ، ونذكر منها الدراسات التي صدرت حديثاً من مثل دراسات ريتشارد هرير دكمجيان وبخاصة في كتابه الذي ترجم إلى العربية مؤخرًا بعنوان « الأصولية في العالم العربي » وجيمس بل أستاذ العلوم السياسية في كلية وليام وماري وبرنارد لويس في كتابه « اللغة السياسية في

المسلمين) (تحت الطبع) دمشق : دار القلم .

١ ــ ابن يوسف : مرجع سابق ص ١٠ .

الإسلام » وكتابه « الغرب والشرق الأوسط » وكذلك مقالاته الصحافية المختلفة . والحقيقة أن الدراسات الأكاديمية قد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية تهتم بالحركة الإسلامية ولعل من أبرزها كتاب الدكتور ولفرد كانتول سميث « الإسلام في التاريخ الحديث » وقد نشرته أولاً جامعة برنستون ثم صدر في كتاب عن دار نشر أخرى بطبعة شعبية لتوسيع نطاق انتشاره . وينبغي الإشارة أيضًا إلى البحث الذي تقدم به ريتشارد ب ميتشل لنيل درجة الدكتوراه من جامعة برنستون حول « الأخوان المسلمون » وقد تمت ترجمته ونشره مرتين إحداهما بتعليق الشيخ صالح أبو رقيق أحد أعضاء حركة الأخوان وفي المرة الأخرى بتعليق بعض الباحثين العلمانيين .

ولا بد أن نشير إلى أن هذين البحثين (بحث سميث وميتشل) قد تمّا بمساعدة من مؤسسة« روكفلر »اليهودي الأمريكي ، بل إن هذه المؤسسة أغدقت المساعدات على مركز الدراسات الإسلامية بجامعة مقيل بكندا[1] .

وبالإضافة إلى مؤسسة روكفلر فهناك مؤسسات أخرى ساعدت ميتشل في بحثه عن « الأخوان » منها مؤسسة « فلبرايت » ومؤسسة « فورد » وما تزال هاتان المؤسستان تقدمان الدعم للبحوث المتعلقة بالعالم الإسلامي وبخاصة الحركة الإسلامية فيه .

ولا بدّ أن نلفت الانتباه إلى أن هذه الدراسات الحديثة إنما هي امتداد لدراسات سابقة ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ولعل من أبرزها كتاب هاملتون جيب (المستشرق الإنجليزي) بعنوان « الاتجاهات الحديثة في الإسلام » (١٩٤٧ م) وكتابه « الإسلام إلى أين يتجه » (١٩٣٢ م) وقد شاركه في الكتاب الأخير المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون لخبرته في شؤون الدول التي كانت خاضعة للاحتلال الفرنسي . ولقد كان من حرص الولايات

---

١ ـ أشار إلى ذلك كلا الباحثين في مقدمتي بحثيهما وهي حقيقة لا تحتاج إلى إثبات .

المتحدة على هذه الخبرات أن استقدمت المستشرق الأمريكي هاملتون جيب ليرأس قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد المشهورة وليواصل كتاباته وبحوثه في شؤون العالم الإسلامي . ومن هذه الكتابات التي ينبغي الإشارة إليها كتاب مورويبرقر « العالم العربي اليوم »[٢] وجورج كيرك في كتابه « تاريخ الشرق الأوسط ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ م » وغيرهم كثير.

وهناك مصدر ثالث يمزج بين المصدرين السابقين ويضيف إليهما بعدًا ثالثًا وهو التقارير السياسية والمخابراتية التي تقدم لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية . أو ما يجري في أروقة البيت الأبيض من نقاش حول قضايا العالم الإسلامي تنال فيه الصحوة الإسلامية نصيب الأسد ومن ذلك النقاش الذي اتخذناه أحد المصادر الأساس لهذه الدراسة .

أما بالنسبة لتقارير المخابرات فإن بعض أعضاء المخابرات المركزية الأمريكية من أساتذة الجامعات المشهورين أمثال ريتشارد ميتشل والدكتور ناداف سافران الذي أسندت إليه جامعة هارفرد عقد مؤتمر عن « الإسلام والسياسة في العالم المعاصر » وبعد ذلك تم الكشف عن أن المؤتمر موّلته المخابرات المركزية الأمريكية وإسرائيل[١] . وللحصول على معلومات دقيقة فإن المخابرات المركزية الأمريكية تقوم بتجنيد بعض أبناء المسلمين الذين باعوا أنفسهم للأجنبي وقد كشفت جريدة الشرق الأوسط قبل مدة قصيرة عن بدء محاكمة الجواسيس المصريين بتهمة التخابر مع المخابرات الأمريكية ولقد كانت المهمة المنوطة بهؤلاء تقديم « معلومات وبيانات وتقارير عن الأوضاع السياسية

---

٢ ـ عمل مورويبرقر أستاذًا في جامعة برنستون .

١ ـ دانيال بايبس . « المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة »
مجلة المجتمع . الكويت : العدد ٧٤٣ في ١٤ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٨٥ م (من ص ٢٨ - ٣٢) (من مقدمة المترجم)

والداخلية لمصر . . . » وقد اعترف أحد المتهمين بأن المخابرات الأمريكية تهتم بجمع معلومات عن نشاطات الجماعات المتطرفة في مصر»[٢]

تقويم هذه المصادر :

وقبل أن نمضي في عرض صورة موجزة عن سياسة أمريكا نحو الحركة الإسلامية نود أن نلفت النظر إلى تقويم أحد الباحثين المسلمين للنزعات والاتجاهات التي ظهرت في الكتابات الغربية وهي تتحدث في مسألة الصحوة الإسلامية وقد جعلها ثلاث نزعات هي :

١ ـ مدرسة الإثارة **Sensationalism**

تقوم هذه المدرسة على التهويل والإثارة كوسيلة لجذب انتباه الجمهور وبخاصة عندما يكون هناك أحداث مثيرة مثل احتجاز الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران . فالإسلام يصبح في نظر الجمهور الإرهاب ونسف السفارات وخطف الطائرات . ومن العناوين التي توضح هذه المدرسة « الإسلام يتحرك ، المسلمون قادمون . . . أيها الغربيون أدركوا حضارتكم . . وغيرها » .

٢ ـ الإنكار **Denial**

تركز هذه المدرسة على تجاهل الوضع القائم والتقليل من شأنه وإن مثل هذه الحركات قد وقع في الماضي ولم يترك أثرًا حيث انتهت وأصبحت زمام الأمور في العالم الإسلامي في يد القوميين .

---

٢ ــ جريدة الشرق الأوسط . لندن : العدد ٣٨٨٦ في ١٩٨٩/٧/١٩م (١٤٠٩/١٢/١٦ هـ)

والعدد ٣٨٨٨ في ١٩٨٩/٧/٢١ م (١٤٠٩/١٢/١٨ هـ) الصفحة الأولى والثانية في كلا العددين .

٣ ـ المغالطة والتزييف :

« اندفعت هذه المدرسة إلى تصوير الحركات الإسلامية على أنها مجموعات متطرفة متحجرة رجعية ومعادية للتحديث »[١]

ومن صفات هذه المدرسة الازدواجية في المعايير التي تستخدمها فهي ترى الدين عيبًا إذا كان له صلة بالإسلام وترى التدين رجعية وتأخرًا وتقهقرًا ولكنها لا تذكر كلمة واحدة عن قيام إسرائيل على أساس الدين ! وهذه الصحف تهتم بالقضايا الدينية التي تثيرها معارك الانتخابات الأمريكية من مثل الإجهاض ، التردد إلى الكنيسة والأخلاق والفضيلة . وغير ذلك ، وتهتم بجولة البابا واهتمامه بالقضايا السياسية لكن إذا كان المسلمون هم الذين يتحدثون عن تراثهم الحضاري فإنهم رجعيون متخلفون[٢]

الجوانب المختلفة لموقف أمريكا من الحركة الإسلامية :

أما بالنسبة لسياسة أمريكا نحو الحركة الإسلامية (الأصولية) فيمكن دراستها من ثلاثة جوانب : **أولها** : ما يجب على أمريكا فعله لفهم الحركة الإسلامية . **والثاني** : العلاقة مع الحركة الإسلامية وكيفية التعامل معها . **والجانب الثالث** : واجبات الأنظمة الحاكمة تجاه الحركات الإسلامية .

أولا : فهم أمريكا للحركة الإسلامية :

عدد المسلمين وانتشار الإسلام :

يدعو السفير الأمريكي السابق هيرمان إيليتس إلى فهم أفضل للإسلام مبررًا ذلك بأن عدد المسلمين في العالم قد بلغ بليون نسمة ، وبالإضافة إلى ذلك وعلى الدرجة نفسها من الأهمية أن هذا الدين سريع الانتشار في العالم بل هو أسرع الأديان انتشارًا . ويؤكد جهل الأمريكان بالإسلام عندما يقارن موقف

---

١ ـ ابن يوسف ، مرجع سابق ص ١٦ ، ١٧ .

٢ ـ Edward Said, **Covering Islam.** London: Routledge & Kegan Paul, 1985. P. 30

الأمريكان من موقف الإنجليز والفرنسيين والألمان حيث يقول ما نصّه : « فإني أعتقد أن السياسيين في عالم اليوم يعرفون القليل عن الإسلام كما نعرف نحن القليل ، وأقول بصراحة مطلقة إننا نجهل الإسلام تمامًا ، الإنجليز يعرفون الكثير عنه وكذلك الفرنسيون والألمان فهم احتكّوا بالمسلمين لسنوات طويلة ، وكانوا على اتصالات وثيقة بهم »[1] .

الفصل بين الدين والدولة :

ومما يوضح هذا الجهل بالإسلام عدم استيعاب الأمريكان لفكرة المسلمين بأنه لا فصل بين الدين والسياسة وإن نظرة الأمريكان إلى المسلمين المتمسكين بأن الإسلام دين ودولة إنما هي رجعية ؛ لأن العالم الإسلامي لم يمرّ بالظروف التي مرّ بها الغرب حين أقصى الكنيسة كليًّا وأصبح لا يعترف للدين بأي دور في تسيير شؤون الحكم . ولذلك فقد كان تنبيه الدكتور اسبوسيتو بأن الدولة الإسلامية دولة أيديولوجية ومن ثمّ فلا بدّ وأن تطرح مسائل مثل حقوق الأقليات ويقدمون أسئلة من مثل : هل يمكن أن يكون رئيس الدولة غير مسلم وكذلك رئيس القضاة أو قائد الجيش ؟[2]

الإسلام والاشتراكيــة :

ومن الأمور التي اهتم بها الأمريكان في محاولتهم لفهم الحركة الإسلامية مقارنتها بالاشتراكية ويرى أحد الباحثين أن « المجتمع في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الأربعة كان اشتراكيًّا بطبيعته فالثروة المتوافرة توزع على الناس والفقراء يحصلون على الثروة من الأغنياء . ويرى العديد منهم في ضوء ذلك . ــ وليس كلهم ــ أن هناك تطابقًا بين الإسلام والاشتراكية[3]

---

١ ــ خضر ــ **المجتمع** الحلقة الثانية ص ٤٤ ــ ٤٥ .

٢ ــ المرجع نفسه الحلقة ٥ **المجتمع** العدد ٩١٨ في ٢٥ شوال ١٤٠٩ هـ ــ ٣٠ مايو ١٩٨٩ م ص ٤٠ ــ ٤١ .

٣ ــ المرجع نفسه ويراجع أيضًا مقال برنارد لويس . الشيوعية والإسلام .

ويعقب على هذه المسألة باحث آخر بقوله : إن الإسلاميين الآن حساسون لمثل هذا الربط بين الاشتراكية والإسلام ولذلك فهم يستخدمون تعبير العدالة الاجتماعية في الإسلام أو هم يؤكدون أن الله وضع قيودًا في الإسلام على الثروة والاستهلاك[٤]

الإسلام والتحديث :

ومن المسائل الهامة التي بحثها المختصون الأمريكان موقف الإسلام من التحديث فقد ظل الاعتقاد السائد إلى فترة طويلة ــ وما زال لدى البعض ــ أن الإسلام يقف عائقًا في وجه التحديث . ويرد على هذه المقولة السفير السابق إيليتس بقوله : إن النظريات الأمريكية عن التحديث قد رفضت الدين تمامًا ورفضت الإسلام بصفة خاصة ولم تعطه وزنه الحقيقي ، بل كانت تتمسك بمقولة أن هذا الإسلام العتيق هو أحد العوامل المعوّقة للتحديث . . لقد أثبت الإسلام على عكس ما فهمه الخبراء بأنه حي وقوي وقادر على مواجهة الحكومات التي قبلت بشكل أعمى هذه الصور من التحديث واعتقدت أنها في حاجة إليها وأنها بإمكانها إجبار شعوبها على قبول صور التحديث حتى ولو كان ذلك على حساب القيم الاجتماعية عميقة الجذور في الثقافة الإسلامية[١]

ثانيا : علاقة أمريكا مع الحركات الإسلامية :

تقترح الدراسات التي رجعنا إليها في هذا الاستعراض الموجز عدة نقاط للتعامل مع الحركة الإسلامية ويبدو أن هذه الدراسات لا تحدد الأولويات

---

٤ ــ خضر . المرجع السابق ص ٤٠ ــ الحديث للدكتور اسبوسيتو .
ويلاحظ أن كتاب سيد قطب رحمه الله « العدالة الاجتماعية في الإسلام » قد ترجم ونشر في واشنطن ــ أمريكا عام ١٩٥٣ م كما أشار إلى ذلك ولفرد كانتول سميث في كتابه المذكور سابقًا .

١ ــ خضر . المرجع السابق عن تقرير اليبتس ص ٣٣ (المجتمع (٣) ص ٤٠ .

ولذلك فترتيبها هنا لا يعني سوى محاولة توضيح خطتهم التي يفكرون بالعمل بموجبها ، وكذلك يجب التنبيه إلى أن أيًّا من هذه الخطوات قد يتم تعديله أو حذفه وفقًا لمستجدات الأوضاع في أمريكا وفي العالم الإسلامي أو في العالم بعامة .

ونظرًا لما تتمتع به الحركات الإسلامية من مكانة هامة في العالم الإسلامي قد تصل أحيانًا إلى منازعة السلطات الحاكمة أو ما يطلقون عليه (النخب الحاكمة) من علمانية أو متظاهرة بالإسلام فإنهم - إدراكًا منهم لهذه الأهمية - يرون اتخاذ الخطوات التالية :

١ ـ إجراء حوار مع الأصوليين ومع قادتهم بالذات ، ويجب أن يقوم بهذا الاتصال من الجانب الأمريكي رجال بعثاتها الدبلوماسية أو رجال الكونجرس (فقد كشف إيليتس عن زيارة **٥٥٢** شخصية أمريكية لمصر)[٢] .

٢ ـ « غسيل مخ شباب الأصوليين بتقديم منح لهم والاستماع إليهم وإعطائهم فرصة التعرف على الولايات المتحدة ، ويدعي السفير إيليتس أن كثيرًا من المجتمعات الإسلامية لا تفهم الأهداف الإيجابية للولايات المتحدة ، ولذلك فإنه يقترح دعوة الشباب الصغير والمتوسط في العمر من القادة الإسلاميين إلى الحضور إلى الولايات المتحدة عن طريق منح أمريكية فيمكنهم بذلك التعرف على الولايات المتحدة وتفهم أهدافها »[١] .

٣ ـ تعليم المعنيين من الأمريكان لغة البلاد التي يوفدون إليها وتزويدهم كذلك بالمعلومات اللازمة عن الثقافة الإسلامية . ويوضح هذا الأمر ما جاء في تقرير السفير الأمريكي إيليتس بقوله . « أستطيع أن أقول من خلال خبرتي الشخصية أن الرسميين الذين يتحدثون العربية أو الفارسية أو الأوردية

---

٢ ـ خضر المرجع السابق (الحلقة السابقة) المجتمع العدد **٩٢٠** في **١٠** ذو القعدة **١٤٠٩** هـ - **١٣** يونيو **١٩٨٩** م ص **٣٠** .
١ ـ خضر - مرجع سابق الحلقة ٤ ـ ص ٤٧ .

والذين درسوا الثقافة الإسلامية وقضوا سنوات عديدة في المناطق الإسلامية هم أقدر الناس على تقديم تقارير أكثر وضوحًا وأكثر إبرازًا للمعالم عن ظاهرة البعث الإسلامية »[٢] .

وهذه النقطة تذكرنا بكتاب صدر منذ حوالي عشرين سنة بعنوان « الأمريكي القبيح » The Ugli Smerican يتحدث فيه مؤلفه عن البعثات الدبلوماسية الأمريكية وعدم اختلاطها بالشعوب التي تعمل في بلادها وعدم تعلم الأمريكان للغة هذه الشعوب بينما نجح الدبلوماسيون الشيوعيون ؛ لأنهم أكثر اختلاطًا بالشعوب الأخرى ومعرفة لعاداتها وأديانها . وينعي على الأمريكان أن اختلاطهم لا يكون إلا بالفئة المتنفذة الحاكمة التي تعيش أو تحاول أن تقلد الأمريكان من السهر في حفلات الكوكتيل أو لعب القولف وغير ذلك .

٤ ــ لاحظ المستشرقون والسياسيون الأمريكان أن إيمان أعضاء الحركة الإسلامية بالله يدفعهم إلى بذل أرواحهم وممتلكاتهم في سبل مبادئهم وأنهم لاتخيفهم تهديدات أمريكا وبعبارة السفير ايلتيس : « فَهُم يروننا كنمر من ورق لذلك يجب الابتعاد عن التهديدات الحادة والكلمات الطنانة المثيرة وبخاصة في أوقات الأزمات »[٣] ولعل ما يعرفه السفير قليل بجانب ما لا يعرفه فلنتلو عليه قوله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤] ولنرجع إلى التاريخ الإسلامي فالمنصفون من المستشرقين ما زالوا يعجبون كيف استطاعت الجيوش الإسلامية هزيمة الفرس والروم مع الفارق الكبير في العدة والعتاد

---

٢ ــ المرجع نفسه من تقرير السفير الأمريكي ص ٦٨ .

٣ ــ المرجع نفسه ص ٤٧ .

٤ ــ سورة التوبة الآية ١١١ .

إلّا لأن جنود المسلمين كانوا فرسانـًا بالنهار رهبانـًا بالليل يحرصون على الموت حرص عدوهم على الحياة . وليسوا كيهود الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[٥] يعنى أي حياة حتى لو كانت حياة ذل وخضوع واستكانة .

٥ ــ يبدو أن السياسيين الأمريكان يرون أن سياستهم في مساعدة الأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية قد أثبتت فشلها حيث أدت إلى زيادة النقمة لدى الحركات الإسلامية لأنها من جهة تمكن للحكومات القائمة ومن جهة أخرى تكرس التفرقة الطبقية في المجتمع . وهذا ما يرون أنه حدث في عهد الانفتاح الساداتي في مصر . ولذلك فهم يرون توجيه مساعداتهم الاقتصادية لتحسين أحوال الفقراء المسلمين وذلك ببناء مساكن لهم وتحسين أحوالهم المعيشية . وكأن هؤلاء السياسيين ظنوا أنهم قادرون على شراء الحركة الإسلامية بمساعداتهم الاقتصادية مما جعل أحدهم يكتب في تقريره للكونجرس الأمريكي : « ولكن فرصتهم (الحركة الإسلامية) في ضوء النظام الاقتصادي القائم في بلادهم قليلة أو محدودة جدًّا ، فمنازلهم حقيرة ، إذن لماذا لا نضع أموالنا في مشاريع لبناء مساكن لهم أو غير ذلك . . »[١]

فيا سبحان الله كأن دين الله يباع ويشترى . . هل لو بنى الأمريكان المساكن ووفروا الخبز لانت لهم رقاب العباد ولأصبحوا طوع أمرهم . وليسمعوا ما قاله ابن باديس رحمه الله يخاطب فرنسا وهو لا يملك حرية القول كاملة : « نحن ــ المسلمين ــ ربينا تربية إسلامية على ألفة الجوع والتقلل من الأكل والاقتصار على قدر الحاجة ، والمواساة في المطعم والمشرب . . . وبهذه التربية استطعنا رغم الفاقة ورغم الجوع ورغم التثبيط والمعاكسة أن نحافظ على قرآننا وخطنا وبقايا علوم لغتنا وديانتنا

---

٥ ــ سورة البقرة الآية ٩٦ .

١ ــ خضر ـ المرجع السابق الحلقة ٧ ص ٣٠

وجملة معارفنا » . بعد هذه التوطئة يقول ابن باديس كلمته التي تناسب الموضع هنا وهي : « جهل قوم من ذوي السلطة هذا الخلق منا فحسبوا - وهم عالمون بما فيه الأمة من جوع وفاقة - أننا لا نريد إلّا الخبز ، وأن الخبز عندنا هو كل شيء ، وأننا إذا ملئت بطوننا مهدنا ظهورنا ، وأنهم إذا أعطونا الخبز فقد أعطونا كل ما نطلب ، إذ الخبز - في زعمهم - هو كل ما نريد . . »[2] .

٦ - ويقترح أحد الخبراء أن يعيد الأمريكان دراساتهم نحو « خلق الشقاق في صفوف الحركات الإسلامية ، والأهم من ذلك إعادة النظر في اعتبار كل الإسلاميين إرهابيين متطرفين »[3]

والحقيقة أن نجاح الأمريكان أو غيرهم في بث بذور الفرقة في صفوف الحركة الإسلامية إن هو إلا أمر مؤقت فالحركة الإسلامية تنطلق من قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[5] فإن كان هناك في الظاهر خلافات في أوساط الحركة الإسلامية فإنها زائلة بإذن الله .

٧ - ويقترح الخبير نفسه أن تكون أمريكا على حذر في قمع التنظيمات المتطرّفة سواء كان هذا بصورة مباشرة أو غير مباشرة بواسطة الحكومات الموالية لهم ويعلل الخبير هذا الأمر بأن القمع يعمل على زيادة حدّة تطرف هذه التنظيمات[1] .

٨ - لاحظ الخبراء الأمريكان اهتمام الحركة الإسلامية بقضايا الأمة الإسلامية الكبرى وفي مقدمتها قضية فلسطين أو ما يطلقون عليه النزاع العربي

---

٢ - عبدالحميد بن باديس **الشهاب** . رمضان ١٣٥٥ هـ - ديسمبر ١٩٣٦ م

٣ - خضر المرجع السابق الحلقة (١) ص ٢٨ .

٤ - سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

٥ - سورة الأنفال الآية ٤٦ .

١ - خضر - المرجع السابق الحلقة ١ ص ٢٨ .

الإسرائيلي ففكروا في وسائل لتحسين صورة أمريكا فكان من هذه الاقتراحات دعوة أمريكا إلى شجب أفعال إسرائيل العدوانية ـ فقط ـ مع الالتزام الكامل بوجود إسرائيل وأمنها[٢] .

ويرى باحث آخر أن على أمريكا أن تعمل على إيجاد «تسوية سلمية للصراع العربي ـ الإسرائيلي ـ فتؤمن قيام كيان فلسطيني مع وجود إسلامي واضح في الأماكن المقدسة في القدس»[٣] .

جميل أن تسعى أمريكا إلى التعرف على ما يريده الأصوليون ، لكنَّ خبراءها قوم لا يهتدون إلى الحق . فمسألة تسوية سلميّة للصراع العربي ـ الإسرائيلي ـ ليست مسألة عربية إسرائيلية إنما هو صراع إسلامي يهودي ، ولن يكون هناك حل إلا بجهاد في سبيل الله ، فإسرائيل تقودها العقيدة اليهودية والمسلمون ما زالوا بينهم وبين الإسلام مسافة ، فكل الحلول المقترحة مرفوضة من الحركة الإسلامية وكذلك من اليهود الذين ينتظرون أن يقاتلهم المسلمون ، حينما يكون اليهود في غربي الأردن ويكون المسلمون في شرقيه[٤] .

ثالثا : نصائح الخبراء الأمريكان إلى الحكومات الإسلامية :

يحاول الخبراء الأمريكان بشؤون البلاد الإسلامية أن يقدموا عصارة خبراتهم وعبقريتهم في صورة مقترحات وتوصيات وأحيانـًا في صورة أوامر إلى الحكومات الإسلامية حول كيفية التعامل مع الحركات الإسلامية في بلادها وانطلاقـًا من مبدأ توزيع الأدوار فقد رأت أمريكا أن عليها أن تقوم ببعض المهمات وتترك أخرى للحكومات الإسلامية وإن كان الاثنان يشتركان أحيانـًا في بعض المهمات . وفيما يلي بعض المقترحات في هذا الصدد .

---

٢ ـ المرجع نفسه الحلقة ٤ .

٣ ـ دكمجيان ـ المرجع السابق ص ٤٠ (الملحق الأول) .

٤ ـ إشارة إلى حديث الرسول ﷺ في صحيح مسلم (٢٠٢٥) لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم : يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

١ ـ يقول دكمجيان «إن النخبة العربية بحاجة إلى ثلاث سياسات ذات علاقات متبادلة إن أرادوا اقتلاع المدّ الأصولي وتخفيف مستوى التوتر الاجتماعي وهي : إصلاح شامل وتكييف اجتماعي منتظم واعتدال في استخدام قوة الدولة ضد المناوئين» . ويضيف دكمجيان توضيح مسألة احتواء الأصوليين بقوله : «ويتطلب احتواء النضاليين الإسلاميين أن تكون النخبة الحاكمة مثالاً للاعتدال وعدم الوقوع في الفساد ، مع اتباع سياسة توجيه اجتماعي فعّالة من خلال مذهبية بديلة[1] .

ونرى هنا أن نثبت تعليق المترجم عبدالوارث سعيد على هذه النقاط فهو يكتفي في تعليقه على عبارة « اقتلاع المدّ الأصولي » بالآية الكريمة ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] . أما اقتراح المستشرق بأن على الأنظمة القيام بالإصلاح الشامل فيقول الأستاذ المترجم «ما الذي يحول بينهم وبين تحقيق ذلك الهدف العظيم والسلطات كلها في أيديهم ، اللهم إلا فساد المنهج المتبع .

ونأتي إلى النقطة الثالثة وهي دعوة دكمجيان الأنظمة الحاكمة أن تكون مثالاً للاعتدال فيتساءل المترجم ساخرًا «كيف يتأتى الاعتدال النموذجي والبراءة من الفساد مع احتكار «النخبة» للحكم وإعطائها لنفسها حق التشريع في كل الشؤون ، وحق إلغاء القوانين والدساتير حسب هواها ، بل أرني النموذج الفذ في أي دولة في العالم ؟ إن ذلك لا يتأتى بدرجة عالية إلا في مجتمع وحكم يدين لله ويخشى حسابه[3] .

٢ ـ ولعل من وسائل احتواء الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي وفقًا لبحث لمستشرق ألماني ، إعطاء الحكم صبغة إسلامية ظاهرية وقد حدث بعد عام ١٩٨٥/١٩٨٦م أن تبنى عدد من الدول الإسلامية بعض

---

١ ـ دكمجيان ـ مرجع سابق ص ٢٢٥ . ٢ ـ سورة آل عمران الآية ١١٨ .

٣ ـ المرجع نفسه ص ٢٢٥ .

المفاهيم الأساسية من الإسلام السياسي (كأن هناك إسلام آخر) كرد فعل للقوة المتنامية للجماعات الإسلامية . ومن مظاهر هذا التظاهر استخدام اللغة التي تستخدمها الجماعات الإسلامية فيحرص المسؤولون في التصريحات الحكومية على إدخال بعض الألفاظ التي تدل على الصبغة الإسلامية ، كما تراهم يشيرون إلى التاريخ الإسلامي المبكر . ويضيف هذا المستشرق إلى تطبيق الشريعة الإسلامية مع وجود الدساتير المبنية على القوانين الأوروبية مما يؤدي إلى ازدواجية في المصطلحات . ولا ينسى المستشرق استخدام هذه الدول للفتوى كوسيلة يسعون بها إلى إقرار بعض المسائل سعيًا منهم إلى جذب المواطن الذي كان من الممكن أن يضيع - في نظرهم وربما نظر المستشرق - إلى الجماعات الإسلامية[٤] .

ويؤكد هذه النقطة دكمجيان بوضع أربعة معايير لمعرفة قدرة الحكومات الإسلامية على احتواء الأصوليين ، والسيطرة عليهم ، وهذه المعايير هي :

أ) الحماس للإصلاح ، وتعني مدى التزام القيادة بإجراء إصلاحات شاملة وأصلية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ب) الإمكانية المذهبية ، هل يستطيعون تقديم فكرٍ جديدٍ منظّمٍ يحل محل ما تقتنع به الحركات الإسلامية يستخدمونه في عملية « التدجين الاجتماعي » من أجل تقوية شريعة النخبة .

جـ) القدرة على الاسترخاء . هل يستطيعون فعلاً اجتذاب الأصوليين للمشاركة مع النظام بعد تدجينهم من خلال الخطوات التي اقترحها الخبراء الأمريكان .

د) طاقة الإسلاميين . ويظل الإسلاميون هم الخطر ، فمعنى طاقتهم أي مقدرتهم على تهديد النظام القائم[١] .

---

٤ ـ Sultz, op, cit., p. 19-20.

١ ـ دكمجيان ـ المرجع السابق ص ٢٢٦ انظر الملحق الرابع .

لا شك أن هؤلاء المستشرقين والخبراء السياسيين الأمريكان الذين يبذلون هذه الجهود الواسعة للبحث عن وسيلة للسيطرة على الأوضاع في العالم لصالحهم أولاً ولصالح الحكومات الموالية لهم ثانيـًا ، إنما يفعلون ذلك بعقليتهم الغربية . ففي النقطة الأولى لا نجد ردًّا على زعمهم الرغبة في الإصلاح خيرًا من المقولة المشهورة « فاقد الشيء لا يعطيه » فأي إصلاح يمكن للنخب الحاكمة أن تقدمه ويكون مقبولاً عند شعوبها إذا لم يكن نابعـًا من الإسلام وبصدق ، فإن الشعوب قد أدركت مسألة التظاهر بالإسلام وإسراع بعض الحكام إلى الصف الأول في المساجد بينما تلفازه يبث الرقص شرقيه وغربيه ، وتبيع فنادق بلاده الخمر في أوقات الصلاة أو تجبي حكومته إيرادات مصانع الخمور الحكومية أو تتحصل عليها ضرائب .

أما النقطة الثانية حول ابتداع مذهبية جديدة تنافس الإسلام فما هي هذه المذهبية . لقد قاسى العالم العربي زمنـًا طويلاً مخدّرًا بالقومية والناصرية . عبدوا العرب وناصر من دون الله . ولما أفاق العالم العربي من غفوته فلن يقع مرة أخرى فريسة لصرعة جديدة يطلق عليها تجميلاً « مذهبية » .

ويكرر دكمجيان كلمة تدجين ويعني بها إحدى صور التدجين ومن ذلك ما يقوم به علماء ، إحدى البلاد الإسلامية من حوار مع أعضاء الجماعات الإسلامية من أجل إعادتهم لسيطرة الحكومة ، أو بعبارة المستشرق نفسه « لإعادة مذهبة النضالية في السجون » والحمد لله أن نجاح هذه الحوارات محدود كما صرح المستشرق نفسه ويمكن أن نطلق على هذه الحوارات أيضـًا عمليات غسيل الأدمغة ؛ لأنه يقوم عليها من طرف علماء تمرسوا في العلوم الشرعية عمرًا طويلاً تعلوهم مهابة العلم والتقوى ويشاركهم بعض رموز النظام ، ولكنه غسيل بمسحوق فاشل ويؤكد هذا ما قاله أحد المشاركين في هذه الندوات بأنها كانت « مجرد مسرحيات هابطة الإخراج وكانت تلفيقات من أقوال السائلين والمتحدثين معـًا »[1]

---

١ ــ عبدالغفار عزيز . **الإسلام السياسي بين الرافضين له والمغالين فيه** . القاهرة : دار الحقيقة للإعلام الدولي ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩ م ص ٢٧٩ .

أما التوصيات التي يمكن أن يشترك فيها كل من الأمريكان والحكومات الإسلامية الموالية (وغير الموالية) فمنها :

١ ـ إعادة دراسة الخطط في إثارة الشقاق بين الجماعات الإسلامية[٢] . وهذه سياسة قديمة تأخذ نهجًا من المقولة المعروفة « فرق تسد » وهي وإن نجحت إلى حين فالإسلام دين الوحدة والاتحاد لا دين التفرقة والشتات .

٢ ـ الحذر في قمع الحركات الإسلامية بطريقة مباشرة (أمريكا) أو غير مباشرة (الحكومات الموالية) وذلك حرصًا على سمعة أمريكا في حالة فشل عمليات القمع ، وحتى لا تزداد شعبية الحركات الإسلامية »[٣]

وهذه التوصيات تقودنا إلى ذكر وثيقة هامة أعدها مستشرق ذو مكانة في قومه ، فهي « خلاصة بحث أعدّه البرفسور دانيل بايبس لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد بعنوان « المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة »[٣] وفي هذه الوثيقة يقدم بايبس إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بعض التوصيات بشأن التعامل مع الحركات الإسلامية . ويقدم كذلك توصيات إلى حكومات الدول التي تنشط فيها هذه الحركات . فمن توصياته إلى الحكومة الأمريكية بشأن التعامل مع الحركات الإسلامية من الدول الموالية ما يلي :

١ ـ عدم تقديم المساعدة للمتعصبين في صفوف المعارضة . ومع التسليم بأن اتصال الولايات المتحدة بهم يساعد على فهم وجهات نظرهم ورصد نفوذهم ، إلا إنه يجب عدم مد يد المساعدة إليهم .

٢ ـ نصح الحكومات الإسلامية بعدم إدخال المتعصبين في صفوفها ، فدخولهم

---

٢ ـ خضر ، مرجع سابق الحلقة الأولى . ص ٢٨ من تقديم السفير اليتس لتقريره .

٣ ـ دكمجيان ، المرجع السابق والصفحة نفسها .

٤ ـ إسماعيل الشطي . « **إلى من يهمه الأمر : من وراء هذه الظاهرة** » **المجتمع** ، العدد ٧٤٣ في ١٤ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٨٥م ص ٢٦ ـ ٢٧ .

(لعله يقصد مشاركتهم المترجم) في الحكومة أو تنفيذ برنامجهم يقود حتمًا إلى الكبت وعدم الاستقرار . وانتهاج سياسة معادية لأمريكا .

٣ ـ تخفيض الروابط الأمريكية المعلنة بالحكومات ولا سيما في البلدان التي تكون فيها حركات متعصبة قوية ، فهنا لا بد من إقامة تعاون سرّي بدلاً من الروابط المعلنة أو الواضحة .

ونقرأ في التقرير أو الوثيقة عبارة تحدد للحكومات الموالية كيفية التعامل مع الولايات المتحدة ومن الذي يقرر شكل هذا التعامل فتقول العبارة : « يجب أن لا يقرر الزعماء المسلمون وحدهم طبيعة العلاقة الصحيحة الواجب إقامتها مع الولايات المتحدة ، بل على أمريكا أن تقرر مثل هذه العلاقة وليس سواها . . »[١] ولا نحتاج إلى تعليق طويل على هذا الرأي إلا أن نقول : مرحى للاستقلال ، مرحى للاستقلال . أما رئيس تحرير مجلة المجتمع فيقول في مقاله الذي سبق الوثيقة : « يجب أن نوجه كلمتنا إلى القيادات السياسية في المنطقة فهي مطالبة بأن تعالج مثل هذه الظاهرة [استبعاد الإسلاميين من المراكز القيادية في الدولة] التي تعتبر جريمة في عرف الديموقراطية ، وظلمًا في عرف الإسلام . . وهي مطالبة بمعالجة الظاهرة لإثبات أن منطقتنا مستقلة متحررة من توجيهات الأمريكان . . وإن كنا ندفع مساعدات لمؤسساتهم الأكاديمية . »[٢]

وهناك وثيقة سبقت هذه الوثائق بعدة سنوات ولعلها كانت تمثل مرحلة معينة من مراحل مواجة الغرب للإسلام تلك هي التي كتبها ريتشارد ميتشل ـ خبير المخابرات الأمريكية وصاحب بحث « الإخوان المسلمون » ـ وقد نشرتها مجلة « الدعوة المصرية » قبل عشر سنوات ونشرتها كذلك جريدة « المدينة المنورة » لقد احتوت هذه الوثيقة على توصيات موجّهة للحكومات الإسلامية في التعامل مع الحركة الإسلامية ، وإليك أهم ما جاء فيها من بنود :

---

١ ـ بايبس ، مرجع سابق .

٢ ـ الشطي ، مرجع سابق .

أولا : الاكتفاء بالقمع الجزئي دون القمع الشامل والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية .

ثانيا : بالنسبة للشخصيات القيادية التي تقرر التخلص منها فننصح باتباع ما يلي :

أ ــ تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا ، حيث يتم شغلهم بالمشروعات الفارغة المضمون وغيرها من الأعمال التي تستنفد جهدهم ، وذلك مع الإغداق عليهم أدبيًّا وماديًّا وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم ، وبذلك يتم استهلاكهم محليًّا وفصلهم عن قواعدهم الجماهيرية .

ب ــ العمل على إيجاد فرص عمل بعقود مجزية في البلاد العربية البترولية الأمر الذي يؤدي إلى بعدهم عن النشاط الإسلامي . وهناك فقرة ج وَد .

ثالثا : بالنسبة للشباب نركز على ما يلي :

أ ــ محاولة تفريغ طاقاتهم المتقدة في الطقوس التعبدية التي تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة .

ب ــ تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم .

جـ ــ تشجيع الهجوم على السُّنّة المحمدية والتشكيك فيها وفي المصادر الإسلامية الأخرى .

د ــ تفتيت الجماعات الإسلامية والجمعيات المختلفة وبث التنازع بينها .

هـ ــ مواجهة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية خاصة التزام الفتيات بالزي الإسلامي عن طريق النشاط الإعلامي والثقافي المتجاوب .

و ــ استمرار المؤسسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار الجماعات الإسلامية والتضييق عليها والتقليل من نشاطها[1] .

ولو نظرنا نظرة فاحصة إلى واقع العالم الإسلامي منذ صدور تلك الوثيقة لتأكد لنا أن كثيرًا من هذه التوصيات قد أخذ طريقه إلى حيز التنفيذ ، وأن كل من له اهتمام بأوضاع الأمة الإسلامية يدرك ذلك بسهولة ، كما نلاحظ أن التوصيات التي لم تؤد النتائج المطلوبة تم استبعادها في الوثائق اللاحقة أو أنها أصبحت سلوكًا ثابتًا لحكومات البلاد الإسلامية تأخذ به لما رأت من نجاحه في وقف انتشار الصحوة الإسلامية . ومما يؤكد لنا أن هذه التوصيات تأخذ طريقها في التنفيذ أن ندوة علمية عقدت في بلد عربي حول التراث والمنهج دعي إلى حضورها بعض الأساتذة الجامعيين الذين يزعمون أن الحديث ليس بوحي ويشككون في مصادر التشريع الإسلامي الأخرى وينادون بإعادة قراءة التراث بمنهج أطلقوا عليه المنهج الإنثربولوجي . ومن ملامح هذا المنهج إعادة النظر في فهم الصحابة ــ رضوان الله عليهم ـ للإسلام ودراسة سيرتهم مرة أخرى بمنظار جديد .

وقبل أن نختم الحديث عن التقارير والوثائق الأمريكية نود أن نشير إلى أن بعض الحكومات الإسلامية أيضًا قامت من جانبها بتأليف لجان لدراسة مكافحة الحركات الإسلامية ووضع المقترحات لمكافحة « تسييس الدين أو تديين السياسة » ولم تنس هذه اللجان أن تستعين بمساعد الرئيس بيجن وخبير الشؤون الإسلامية بالسفارة الأمريكية . كما استعانت اللجنة بتقرير الإدارة البريطانية السابقة في العهد الملكي وتقارير البوليس السياسي في عهد الرئيس النقراشي

---

١ ــ ريتشارد ميتشل . « تقرير خطير للمخابرات الأمريكية ينصح بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية » **مجلة الدعوة المصرية** . القاهرة : العدد ٣٢ السنة ٢٧ ، غرة صفر ١٣٩٩ ـ يناير ١٩٧٩ م وقد أورد الدكتور علي جريشة النص الكامل للتقرير في كتابيه **حاضر العالم الإسلامي** ، ط ٢ ، جدة : دار المجتمع ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م ص ١٦ وكتابه **دعاة لا بغاة** ص ١٥٩ وأشار فيهما إلى أن جريدة **المدينة المنورة** قد نشرت التقرير نفسه في عددها ٤٥٧٠ في ٣ صفر ١٣٩٩ هـ .

والرئيس عبدالهادي وتقارير السفارة الروسية من سنة ١٩٥٧ م حتى ١٩٧٠ م .

وقد قسمت اللجنة توصياتها واقتراحاتها إلى عدة أقسام هي :

أولا : سياسة وقائية عامة .

ثانيا : سياسة مجابهة الجبهات الموجودة الآن(١)

ولعل هذه لا تكون اللجنة الوحيدة التي ألفت لهذا الغرض فما دامت الصحوة الإسلامية مستمرة فإن وسائل مقاومتها سوف تستمر حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً .

---

١ ــ علي محمد جريشة : **دعاة لابغاة** . الكويت دار البحوث العلمية ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م من ص ١٦٥ ــ ١٧٧ كنا نود أن نجعل هذه الوثيقة ضمن ملاحق الكتاب ولكن حرصًا على أن لا تطغي الملاحق على حجم البحث رأينا اقتباس بعض التوصيات والمقترحات التي وردت في التقرير دون تحديد فيها إذا كانت سياسة وقائية أو مجابهة فالحقيقة كلاهما شيء واحد وإن تعددت الأسماء ومن هذه التوصيات ما يلي :

١ ــ إعادة النظر في مناهج التاريخ الإسلامي والدين عامة في المدارس والعمل على تغيير هذه المناهج لربط الدين بالأوضاع الاجتماعية والخلقية وليس مع السياسة ، مع إبراز مفاسد الخلافة وخاصة زمن العثمانيين وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة . وإقصائها عن السياسة .

٢ ــ التركيز المستمر لمحو فكرة ارتباط السياسة بالدين .

٣ ــ تحريك قضايا التطرف الديني من وقت لآخر ، وتسليط الأضواء عليها إعلاميًّا . . ثم ربط هذه القضايا بالعمالة لبعض دول الرفض المتطرفة .

٤ ــ يحرم بتاتًا قبول ذوي اللحى وذوي التاريخ الحركي الإسلامي سواء في المدارس أو الجامعات أو أقاربهم حتى الدرجة الثانية من الانخراطات في السلك العسكري أو البوليس أو المراكز السياسية والإعلامية مع عزل الموجودين من هؤلاء في مثل هذه الوظائف أو نقلهم إلى أماكن أخرى في حالة ثبوت ولائهم .

٥ ــ التركيز على مقاومة النظرية الاجتماعية الشيوعية بالنظرية الاجتماعية الإسلامية من حيث التشابه وأن النظم الشيوعية بدأت تتراجع عن نظريتها بعد ثبوت عدم ملاءمتها للعصر . (ويلاحظ أن مستشرقًا يهوديًّا كتب بحثًا منذ ثلاثين عامًا بعنوان « الشيوعية والإسلام » وقد حاول إثبات التقارب بينهما كأنما هما شيء واحد . فهل يكون هذا تخطيط مشترك مع تأكد التراجع الشيوعي في عهد جورباتشوف) .

الخاتمة

إن الخوف الشديد من اليقظة الإسلامية لما تمثله من تهديد لمصالح أمريكا والغرب هو الباعث على هذه الدراسات المستفيضة للإسلام وللحركات الإسلامية ، وإن كانت في الحقيقة ليست تهديدًا لمصلحة أحد إنما هي تهديد للباطل والظلم والاستبداد . وما أجمل ما قاله ابن باديس في هذا المعنى : « نعم نهضنا نهضة (بنينا على الدين أركانها ـ فكانت سلامًا على البشرية) لا يخشاها ـ والله ـ النصراني لنصرانيته ولا اليهودي ليهوديته بل ولا المجوسي لمجوسيته ، ولكن يجب ـ والله ـ أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته »[1] .

لقد لاحظنا من خلال هذه الدراسات أن بعض الخبراء يتوقعون وصول الإسلاميين إلى الحكم مؤيدين ذلك بمظاهر العودة إلى الإسلام في جميع جوانب الحياة من اقتصاد واجتماع . . إلخ بالإضافة إلى فشل الطروحات الأخرى في تقديم الحلول لمشكلات الشعوب الإسلامية ، بينما يستبعد بعض الباحثين الغربيين مثل هذا الأمر مشيرين إلى أن علماء السنّة ليسوا كعلماء الشيعة في تأثيرهم ومكانتهم ، ولكن هذا الأمر ـ في نظرهم ـ لن يطول حينما يتوجه عدد أكبر من شباب السنّة إلى الدراسات الدينية حتى يؤلفوا طليعة يمكن أن تصل إلى الحكم[2] .

---

١ ـ عمار الطالبي . ابن باديس حياته وآثاره . ج ٣ ص ٥٦٠ عن البصائر : قسنطينة (الجزائر) العدد ٨٣ في ٢٠ رجب ١٣٥٦ هـ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٣٧ م .

٢ ـ دكمجيان . مرجع سابق ص ٢٤٣ وأما الأسباب الأخرى فهي وقوف كثير من الأنظمة الإسلامية في وجه الصحوة بتأييد وتوجيه من الغرب .

ومهما كان الأمر فإن مما يجب دراسته بعناية قول السفير الأمريكي : « إن الصحوة الإسلامية أو الأصولية حقيقة تعيش معنا وسوف تستمر في صياغتها لسياسة الشرق الأوسط في المستقبل القريب ، وسيستمر معظم الأصوليين الإسلاميين في التأكيد القوي على ممارسة شعائرهم الإسلامية والحاجة إلى حياة أكثر إسلامية كما ستسعى معظم التنظيمات الإسلامية إلى إحداث التغيير من أسفل [القاعدة] مع ضرورة أن نضع في الاعتبار المخاطر الناتجة عن قمع الحكومات لهذه التنظيمات »[٣] .

وفي ختام هذه الدراسة التي أقدمها لأبناء أمتي راجيًا أن نتنبه إلى أننا أمام عدو يقظ ، يدرس كل صغيرة وكبيرة مما نقول ونفعل ويضع المخططات الدقيقة كتلك التي ظهرت في الوثائق التي أشرنا إليها في متن الكتاب وحواشيه وجعلنا بعضها ملاحقًا له ، كما نود أن نشير إلى وثائق أخرى حول مخططات النصارى الذين يعيشون في البلاد الإسلامية ضد الإسلام والمسلمين .

ولنا في التاريخ عبرة ، فعندما زحفت الجيوش الصليبية على بلاد المسلمين وجدت في هؤلاء كل عون وتأييد حتى إذا انحسر المد الصليبي وجاءت بعد قرون الحملة الصليبية الفرنسية على مصر بقيادة نابليون فتقدم نصارى الشوام الذين كانوا في مصر بالتعاون مع أقباطها ليكونوا عيونًا وعونًا له ضد المصريين بل ويضطهدون المسلمين متى قدروا على ذلك كما أشار إلى ذلك المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي في تاريخه[١] ، هذا وأن أي مراقب واعٍ يدرك مدى الخطورة التي تحملها مخططات النصارى التي تستلهم الغرب النصراني العون والتوجيه والإرشاد[٢] .

---

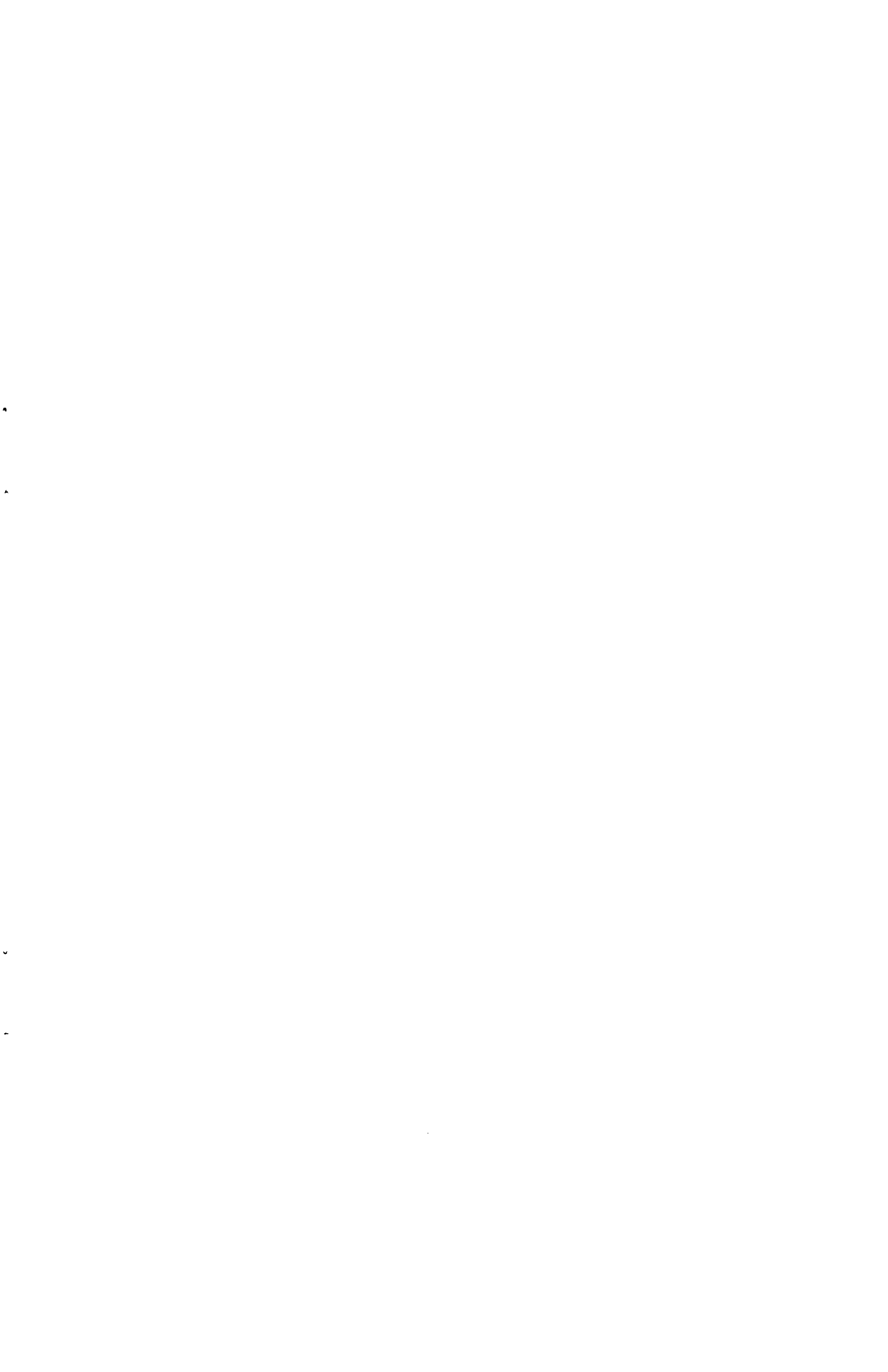
٣ ـ خضر . مرجع سابق . الحلقة الأولى ص ٢٩ (السفير إيليتس) .

١ ـ عبدالرحمن الجبرتي . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار . المجلد الثاني ص ١٧٩ ـ ٤٧٦ .

٢ ـ انظر الملحق الخامس نقلاً عن كتاب إبراهيم السليمان الجبهان . ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير ص ٣٠ ـ ٣٤ .

فعلينا نحن المسلمين أمام هذه الأخطاء أن نسمو فوق خلافاتنا في الرأي والاجتهاد ونحمد الله على أن ما نتفق عليه هو الأكثر . ولنعد إلى قاعدة المنار المشهورة : « لنعمل سويًّا فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه » ولنكن على حذر من أن نؤخذ على حين غرة ، وإن كان لنا حوار مع الغرب ، فإنما يكون لدعوته إلى دين الله . أما مطالبنا وتطلعاتنا فليسوا هم المؤتمنين على أمورنا . ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ .



المراجـــــع

كتـــب ومقـــالات

١ ــ بايبس ، دانيل « المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة » **المجتمع** ، الكويت : العدد ٧٤٣ في ١٤ ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٨٥ م .

٢ ــ ابن باديس ، عبدالحميد « ليس الخبز هو كل ما نريد » **الشهاب** . الجزائر : العدد ٩ مجلد ١٣ في رمضان ١٣٥٥ ديسمبر ١٩٣٦ م .

٣ ــ البنا ، عبدالله . **شرح الأصول العشرين للإمام حسن البنا** . القاهرة : دار الأنصار (بدون تاريخ) .

٤ ــ ابن يوسف ، أحمد ، **الصحوة الإسلامية في منظار الغرب ـ الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر** . إنديانا : رابطة الشباب العربي المسلم ، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

٥ ــ التل ، عبدالله . **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية** . ط ٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٦ ــ جريشة ، علي محمد ، **حرمات لا حقوق : حقوق الإنسان في ظل الإسلام** . القاهرة : دار الاعتصام (بدون تاريخ) .

٧ ــ جريشة ، علي محمد . **دعاة لا بغاة** . الكويت : دار البحوث العلمية . ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٨ ــ جريشة ، علي محمد . **حاضر العالم الإسلامي** . ط ٢ ، جدة : دار المجتمع ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

٩ ــ خضر . أحمد إبراهيم « الإسلام والكونجرس ، ١٢ حلقة . **مجلة المجتمع** ، الكويت . الأعداد من ٦١٤ ـ ٩٢٥ من ٢٠ رمضان إلى ٢٢ ذو الحجة ١٤٠٩ = ٢٥ أبريل ـ ٢٥ يولية ١٩٨٩ م .

١٠ ــ دكمجيان ، ريتشارد هرير ـ **الأصولية في العالم العربي** . ترجمة عبدالوارث سعيد ، المنصورة : دار الوفاء ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

١١ ــ الشطى ، إسماعيل « إلى من يهمه الأمر من وراء هذه الظاهرة ؟ » **المجتمع** ، العدد ٧٤٣ في ١٤/٣/١٤٠٦ هـ = ٢٦/١١/١٩٨٥ م .

١٢ ــ الطالبي ، عمار ، **عبدالحميد بن باديس حياته وآثاره** . **الجزائر** : دار مكتبة الشركة الجزائرية . ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م .

١٣ ــ عبدالرحمن ، عفيف « الدراسات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية » . **الفيصل** الرياض ، العدد ٤٩ في رجب ١٤٠١ هـ آيار (مايو) ١٩٨١ م ص : ١٨ ـ ٢٣ .

١٤ ــ عبدالهادي ، جمال . **تاريخ أوروبا منذ أقدم العصور (دولة الروم)** جدة : دار الشروق . (بدون تاريخ) .

١٥ ــ عزيز ، عبدالغفار . **الإسلام السياسي بين الرافضين له والمغالين فيه** ، القاهرة : دار الحقيقة للإعلام الدولي ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

١٦ ــ فورد ، هنري . **اليهودي العالمي** . تعريب خيري حماد . بيروت : المكتب التجاري (بدون تاريخ) .

١٧ ــ كوبلاند ، مايلز . **لعبة الأمم** . تعريب مروان خير ، بيروت : انترناشيونال سنتر ، ١٩٧٠ م .

١٨ ــ لويس ، برنارد . **الغرب والشرق الأوسط** ، ترجمة نبيل صبحي . (بدون ناشر) ، (بدون تاريخ) .

١٩ ــ لويس ، برنارد . « عودة الإسلام » . **مجلة الدعوة المصرية** (النمسا) ، الأعداد ٨٦ ـ ٨٩ السنة الثالثة والثلاثون ، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٣ هـ ومحرم وصفر ١٤٠٤ هـ أغسطس ـ نوفمبر ١٩٨٣ م .

٢٠ ـ مطبقاني . مازن صلاح . **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية** . دمشق : دار القلم ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .
٢١ ـ مطبقاني . مازن صلاح . **عبدالحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي** . دمشق : دار القلم (تحت الطبع) .
٢٢ ـ نمر . كمال كامل . **أضواء على أحوال خير أمة أُخرجت للناس في الولايات المتحدة الأمريكية** . بيروت : دار البشائر الإسلامية ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م .

المـراجــع الأجنبيـــة

1. Devereux, Robert. "A Note on Middle East Studies in the United States". **Islamic Quarterly,** London. 1963.

2. Lewis, Bernard. **The Arabs in History.** (1st Ed.) London: Hutchinson University Library, 1950.

3. Said, Edward. **Covering Islam.** London: Routledges Paul Kegan, 1985.

4. Schulze, Reinhard. "Political Islam in the 20th Century" **Public Lecture at Near Eastern Studis Dept.** Princeton University, U.S.A. 22 Sept. 1988

5. Smith, Wilfred Cantwell. **Islam in Modern History.** New York: The New American Library, 1959.

الملحـق الأول

الأصولية* الإسلامية ومصالح الولايات المتحدة

إن ظهور الأصولية الإسلامية كظاهرة تتجاوز في انتشارها الحدود القومية قد وضع الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين أمام تحديات خطيرة، جاءت ردود الفعل الأمريكية تجاه الأصولية، خاصة في المنطقة العربية، على غير أساس من الفهم الواضح للروح الإسلامية، وهو أمر لا بدّ منه للسياسة الحكيمة رسمًا وتطبيقًا. إن ثمن التصرف الأحمق يمكن أن يكون فادحًا على المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الأمريكية، كما حدث في إيران ولبنان.

ترى النظرة الأصولية أن ثمّة ثوابت معينة في السياسة الخارجية الأمريكية تضع الولايات المتحدة على طريق المصادمة مع الحركة الإسلامية، وتشمل ثوابت هذه السياسة ما يلي:

١ ــ دعم الأنظمة العربية ذات التوجه العلماني بسبب توجهها الموالي لأمريكا.

٢ ــ الدعم الفعلي غير المشروط لإسرائيل، وهذا يطيل أمد الضعف العسكري العربي الذي يتزايد نتيجة الحضور العسكري الأمريكي في عدد من الدول العربية.

٣ ــ الإصرار على سياسات اقتصادية تزيد من سوء توزيع الدخل في البلاد العربية.

٤ ــ انتشار القيم وطرائق الحياة الغربية ـ الأمريكية التي تعتبر مخالفة للإسلام.

ليس ثمّة احتمال أن يدخُل في المستقبل المنظور تعديل ذو قيمة على المعتقدات الإسلامية السابقة . وعلى هذا ، فإن منطق الواقع يفترض الإصرار على استمرار الصراع بين مصالح الولايات المتحدة والأهداف الإسلامية* . والواقع أنه لا مجال ـ نظريًّا ـ للتوفيق بين الجانبين ، لكن ـ في نطاق السياسات العملية ـ يمكن أن نتوسم جوانب معينة للتعايش ، بل للتعاون المحدود بناءً على التطورات في المنطقة والتعديلات في سياسة الولايات المتحدة . والواقع أن حدوث بعض التغيير في تركيب السياسة الأمريكية قد يخفّض من الحمية الإسلامية ويمهد الأرض للتعاون الممكن مع العناصر الإسلامية المعتدلة أو القومية . يُنظر إلى الولايات المتحدة في الوقت الحاضر على أنها مصدر رئيسيّ للمثيرات الخارجية والداخلية التي أثارت ردود فعل أصولية ، والنتيجة ، أن هناك حاجة إلى اتباع خطّين من السياسة كردود فعل قابلة للنمو تجاه الأصولية من أجل حماية المصالح الحيوية للولايات المتحدة في المحيط الإسلامي ـ العربي .

١ ــ تسوية سلمية للصراع العربي ـ الإسرائيلي ، تؤمن قيام كيان فلسطيني مع وجود إسلامي واضح في الأماكن المقدسة في القدس .

٢ ــ تشجيع أمريكي واضح ودعم للإصلاحات الاجتماعية والسياسية ، خاصة في الدول الموالية لأمريكا ، للوصول إلى مستوى أعلى من العدالة الاجتماعية والاقتصادية ولحماية حقوق الإنسان** .

---

* لن يتوقف هذا الصراع ما دامت أمريكا تتزعم المعسكر الصليبي وما دامت أمريكا تقود خطواتها أفكار مثل هذا المستشرق . إن المصالح الأمريكية لا يمكن أن تتوقف لتطلعها الدائم للسيطرة والاستبداد بالشعوب الأخرى (مازن) .

** الإصلاحات الاجتماعية والسياسية التي تأتي عن طريق أمريكا لا يتقبلها المسلمون الملتزمون لأنها نابعة من قيم الغرب ومبادئه ، ولا بد للعدالة الاجتماعية أن تنطلق من الإسلام ومن الإسلام وحده (مازن) .

إن إحراز تقدم ملموس في هذين البعدين من السياسة سوف يقوّي - إلى حد بعيد - شرعية الصفوة الموالية لأمريكا عن طريق إزالة سببين رئيسيين من أسباب الاستفزاز الذي أثار ردود الفعل الأصولية . ومن المحتمل أن ما ينتج عن ذلك من تحسين في بيئة الأزمة سوف يحيّد العناصر الأشد تطرفًا في دعاة الأصولية وسوف يوجد جوًّا ملائمًا لظهور نخبة إصلاحية*** .

العلاقات بين الولايات المتحدة والأنظمة الموالية لها

ليس من العمليّ إزاء التباين الكبير بين الأنظمة العربية ، صياغة خطوط عريضة للسياسة الأمريكية تطبق بطريقة واحدة ، لكن من الممكن أن نقترح أشكالاً مرنة للتعامل مع الحكومات الموالية لأمريكا يمكن أن تؤدي إلى نتائج مشجّعة في المستقبل ، ويمكن إجمالها فيما يلي :

١ ــ على الولايات المتحدة أن تتجنب الضغط على الحكومات العربية الصديقة (مثل الأردن ومصر وغيرهما) للمشاركة في الجوانب الهيّنة سياسيًّا والمحفوفة بالمخاطر من إجراءات السلام مع إسرائيل . في ضوء الحقيقة الإسلامية ، تكون أي عملية سلام ، لا تنتهي بإقامة كيان فلسطيني ووجود إسلامي في القدس ، عمليّة خطرة من الناحية السياسية بالنسبة لكل النخب العربية الحاكمة ، خاصة تلك النخب الصديقة مع الولايات المتحدة .

*** إن هذا التحسن يمكن أن يحدث من المسلمين أصحاب الأهداف المحدودة . أما المسلمون الذين يسيرون ويعملون لتحقيق الهدف الرباني الذي هو علو كلمة التوحيد وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى فهؤلاء لا يرضيهم إلا قيام هذه الحقيقة في أرض الواقع (مازن) .

٢ ـ ليس لدى الولايات المتحدة الموارد ولا القدرات الكافية لحماية كل نظام عربي موالٍ لأمريكا ضد معارضيه الإسلاميين والقوميين وسط مواقف ثورية في أولى مراحلها . إنه لمن المحال عمليًّا أن تقلب عملية ثورية ما دامت قد بدأت مسيرتَها المصمِّمة ، ومن ثمَّ ، فإن أي جهد أمريكي وقائي يجب أن يبدأ قبل الانفجار الثوري بزمن كافٍ . ليس أمام أمريكا بديل من متابعة العمل لإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية بالإضافة إلى ما تقدمه إلى تلك الأنظمة من استخبارات وأسلحة ومهارات تنظيمية . وأخيرًا ، فإن المساعدات الأمريكية لن تفيد إلا قليلاً تلك الأنظمة التي لا رغبة عندها في إقامة عدالة اجتماعية . إن تلك المساعدات الاقتصادية السخية (!) التي تقدمها أمريكا لدول مثل مصر ، يجب ألا تستخدم لزيادة تفاقم صراع الطبقات بزيادة سوء توزيع الثروة الموجودة حاليًا* .

٣ ـ أثبتت خبرات الماضي أن التغلغل الزائد اقتصاديًّا وثقافيًّا وعسكريًّا قد برهن على أنه ضارٌّ بمصالح الولايات المتحدة على المدى الطويل . وأن سياسات كهذه لا تؤدي وظيفتها في المجتمعات الإسلامية ذات الحساسية المفرطة تجاه أشكال النفوذ الأجنبي . إن الفِرَق الكبيرة والواضحة من الدبلوماسيين والفنيّن والعسكريين غالبًا ما تصبح أهدافًا للاستياء الشعبي .

---

* لو حكم الإسلام البلاد الإسلامية عقيدة وشريعة وسياسة واقتصادًا لما كانت هناك أي حاجة للدعم لأمريكي الذي لا يقدم إلا مشروطًا بالتبعية . الإسلام وحده الكفيل بتحقيق التوازن بين فئات الشعب المختلفة (مازن) .

البديل الإسلامي : تحليل نقدي

ترفض الأصولية الإسلامية ، في منطقها النهائي ، جوهر تصور « الدولة القومية » الحديثة ونماذجها التي زُرعت في البيئة الإسلامية العربية . والتحدي الإسلامي يتعدى الدول العربية ليشمل نظام « الدول القومية » الحديثة بكلّيّته ، حيث إن الإسلام الأصولي لا يعترف بالحدود القومية . في الأزمة الاجتماعية ـ السياسية الحاضرة ، أصبح البديل الإسلامي ـ بحماسه الأخلاقي ونضاليته السياسية ـ معقولاً وموضع ثقة . ففي غضون مدة قصيرة ، نحو خمسة أشهر من أكتوبر ١٩٨٣ م حتى فبراير ١٩٨٤ م ، أثبتت الأصولية الإسلامية وجودها في لبنان والكويت وتونس والمغرب من خلال أشكالٍ مختلفة من العمل السياسي . كان التحدي الإسلامي للدولة واضحـًا في كلٍّ من هذه الحالات .

ويبقى السؤال : هل البديل الإسلامي قابل للتطبيق؟

هناك ـ على الأقل ـ أربع جهات وظيفيّة ميّزت ظهور الانبعاث الإسلامي المعاصر :

١ ـ وسيلة روحية كملاذ من الشعور بالاغتراب .

٢ ـ مذهبية للاحتجاج ضد الظلم الاجتماعي والسياسي .

٣ ـ مذهبية للتغيير الثوري .

٤ ـ أساس مذهبيّ لمجتمع سياسي ـ وهو النظام الإسلامي .

في هذه المجالات الوظيفية يبدو البديل الإسلامي ولديه درجات متفاوتة من قابلية التطبيق ، ومن الواضح أن الأصولية قد نجحت في أن توفر إحساسـًا عميقـًا بالانتماء والأخوة لملايين المسلمين الذين يعانون الغربة والحرمان . والواقع أن رسالة الإسلام الروحية قد احتفظت بقوتها وملاءمتها للحياة الحديثة اجتماعيـًا وأخلاقيـًا . ولا يقلّ عن هذا أهمية دور الأصولية الإسلامية كمذهبية احتجاج ضد استبداد الحكم والظلم الاجتماعي والاقتصادي . ونظرًا لغياب قنوات المعارضة المذهبية والشرعية الأخرى ، فقد قدّمت الأصولية وسائل مقبولة دينيـًا للتعبير عن سخط الجماهير .

لكن الاحتجاج الاجتماعي قد أدى ــ في كل الأحوال تقريبا ــ إلى قيام الدولة بالقمع ، وإلى تصعيد الصراع السياسي في كثير من البلاد العربية والإسلامية ، وقد تحوّل الاحتجاج في هذه الظروف إلى ثورة ؛ لأن سخط الجماهير بحث عن وسيلة للتعبير الثوريّ ضد السلطات الحاكمة ؛ ومن هنا كانت فائدة الأصولية الإسلامية كمذهبية لتحريك الجماهير . لكن هل يشكل الإسلام النضالي وسيلة فعّالة للثورة في الظروف الحديثة ؟ والجواب بالإيجاب بناءً على هيمنة القوة الإسلامية في إيران . لكن معظم البلاد العربية ــ بأغلبيتها السنّية وما لكل منها من خصوصيات اجتماعية وسياسية ــ قد تقف ضد تكرار الثورة الإيرانية . وهناك عامل واضح هو عدم وجود طليعة كبيرة من رجال الدين ذات توجهات سياسية وتطرفيّة ولها نصيب كبير من السلطان الديني ــ السياسي الأخلاقي . فالواقع أن « العلماء » السنّة ينقصهم ــ بوجه عام ــ النفوذ الأخلاقي والسياسي الذي يتمتع به نظراؤهم الشيعة ؛ كما أنه ليس لديهم السلطة الشرعية لممارسة « الاجتهاد »(*) والأوضح من ذلك أن « العلماء » السنّة ليس لديهم ما لدى الشيعة من تماسك مشترك في إطار شبكات تنظيمية هرميّة . ومع ذلك فالدلائل تشير إلى أن « العلماء » السنّة ليسوا محصَّنين ضد التطرف أو التنظيم . وقد لوحظ هذا في سوريا ، ثم ــ بدرجة أقل ــ في مصر والأردن وبلدان شمال أفريقيا . فقد قام « العلماء » السوريون بدور بارز في قيادة الحركة الإسلامية . وفي مصر ، اندمج كثير من الدعاة المشهورين في القضية الأصولية من أمثال الشيخ المحلاوي وحافظ سلامة ويوسف البدري وعبدالحميد كشك

(*) ليس هناك سلطة تمنع أحدًا من أهل الكفاءة أن يجتهد في نطاق كفاءته . وبالتالي فليس ثمّة حاجة إلى سلطة شرعية للإذن بالاجتهاد . وإن كانت ظروف العصر تقتضي ترجيح الاجتهاد الجماعي على الفردي انظر : د . يوسف القرضاوي ، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية (دار القلم ، الكويت . ١٩٨٥ م) . وكذلك ، وائل ب . حلاق ، هل أغلق باب الاجتهاد ؟ **المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط** (انجليزي) (مج ١٦ ، عدد ١ ، مارس ١٩٨٤م . ص ٣ ــ ٤١ .

وآدم صالح وعبدالله السماوي[٣] . بل إن عملية إحياء طرائق الحياة الإسلامية التي أدت إلى تغيير تقاليد المجتمع ، بالإضافة إلى البطالة المتزايدة ، لا بدّ أن ينتج عنه سيل نامٍ من الطلاب الذين ينهمكون في الدراسات الدينية . وإذا نتج عن ذلك ظهور طبقة كبيرة من المشتغلين بالدين ذات انتشار اجتماعي مثل ما هو حادث في إيران ، فمن المتوقع أن يشتد التحدي الإسلامي الطويل الأجل للسلطة السياسية .

رغم ذلك ، فالحركة الأصولية المعاصرة في حالة انقسام في معظم البلاد العربية . فالاختلافات في المذهبية والمخططات ــ ولا تقلّ عنها الصراعات بين القادة ــ تزيد دائمًا من التفكك بين الجماعات الإسلامية . وقد نتجت الصراعات المذهبية عن التفسيرات المتباينة لرسالة الإسلام الأصلية وكذلك عن الفروق في الأسس الاجتماعية لمختلف الجماعات الإسلامية وزعمائها[٤] . وعليه ، فأصولية الطبقة الوسطى الحضرية قد تميل إلى التعبير عن مصلحتها السائدة في دعم وضعها الاجتماعي والاقتصادي المتـآكل ؛ ومن ثمّ نفهم اتجاه الطبقة الوسطى الحضرية إلى تأييد خط الأصولية العام للإخوان وفروعها . وفي مقابل هذا ، نجد أن إسلامية الطبقة الوسطى ــ الدنيا الريفية وامتداداتها الجديدة في المدن ، قد تظهر عليها بساطة الريف والشذوذ عن المجموع ، والبحث عن « المهدي » المخلّص والتطرف الثوري . ولعل التوجّه الثوريّ الزائد لهذه الطبقة ــ بالقياس إلى الطبقة الوسطى الحضرية ــ نابع من مشاعرها العميقة بالحرمان النسبي والإحساس الحاد بضياع الهوية الاجتماعية والنفسية المرتبط بعملية التمدّن .[*]

---

(٣) نبيل عبدالهادي . « الإسلام والإعلام المصري » الجهاد (طهران ١٩٨٢/١٢/٣١ م) .

(٤) من أجل منهج كامل معتمد على دراسة جلنر (Gellner) واخرين ، انظر ميكائيل م . ج . فيشر . « الإسلام وثورة البورجوازية الصغيرة » دورية دايدالوس Daedalus (شتاء ١٩٨٢ م) : ١١٠ - ١٢٠

(*) ليس في الإسلام مثل هذه التقسيمات فمتى اقتنع الفرد بالإسلام وهداه الله إلى =

هذه العوامل التي أحدثت التنوع والانقسام داخل الحركة الإسلامية ، ومعها إزعاج الشرطة ، قد حالت دون خلق « الطليعة المؤمنة » الثورية التي دعا إليها سيد قطب . وفي حالة غياب التنظيم الطليعي يكون من المرجّح أن كفة هذا الصراع الحتمي بين الجماعات الأصولية والدولة ستميل لصالح الأخيرة ــ على الأقل ــ في المستقبل القريب . إن معظم الدول العربية والإسلامية ، على الرغم من المستويات المتدنية للشرعية ، تبدو قادرة على تهيئة مستويات من قوة القمع ومن الدعم كافية للتغلب على التهديدات الأصولية . وجهاز الدولة ــ تدعمه التقنية الحديثة ــ يبقى مهيمنا ويستمر في طلب التأييد غير المعلن ــ والكاره غالبًا ، من العلمانيين والأقليات وطبقات المتعهّدين الذين يخافون من الفوضى السياسية ومن احتمالات انتصار الإسلاميين .

إن الملابسات السابقة قد تجهض محاولة القيام بثورة إسلامية شعبية في المنطقة العربية على النمط الإيراني . لكن جهاز الدولة قد لا يستعصى على الهزيمة بالنظر إلى المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المتعاظمة التي تواجه البلاد العربية والإسلامية نتيجة لانخفاض دخول النفط ، وحالات الجفاف في شمال أفريقيا والنمو السكاني غير المنضبط . وفي ضوء توجّه ظروف الأزمة على المدى الطويل ، ليس من المحتمل أن يكون الانبعاث الحالي للإسلام السياسي مجرد ظاهرة مؤقتة ، أي حركة ثورية تنفيسية تستطيع أجهزة الدولة أن تأتي عليها[٥] . الواقع أن النضالية الإسلامية سوف تبقى طالما بقيت ظروف الأزمة وهناك

= الالتزام به فمهما كانت خلفيته الاجتماعية فإنه سوف يسعى إلى إعلاء راية الدين . وقد كان توجه حسن البنا ــ رحمه الله ــ في البداية بعيدًا عن الكبراء وأصحاب النفوذ لكن الدعوة حين قويت شوكتها أصبحت تضم في صفوفها جميع الخلفيات الاجتماعية . (مازن) .

(٥) بشأن استمرار الإحيائية كتعبير ثقافي ، انظر : إيرام لابيدوس ، الحركات الإسلامية المعاصرة من منظور تاريخ ، (بيركلي : ط/جامعة كاليفورنيا . ١٩٨٣ م) ، ص ٦٢ و٦٣ .

مجموعات من « المؤمنين الجادّين » على استعداد للتضحية بحياتهم « في سبيل الله » لإقامة حكم الله على الأرض . وعلى هذا ، فإن المنهج الغربي والماركسي في تناول ظاهرة الأصولية من منظور اجتماعي واقتصادي لا يقدم في أحسن الأحوال إلا إجابات جزئية . أما العقيدة الكاملة والالتزام المطلق لدى رجال مثل البنا وقطب وباقر الصدر والخميني بالمَثَل الإسلامي الأوصولي فلا يمكن تفسيره بمجرد البحث في أصولهم الطبقية . والتحدي الروحي من الإسلاميين للسلطة لا ينبع في أساسه من المصالح المادية لطبقات بعينها أو للإنسانية ككل ، وإنما من اليقين المطلق بأنهم أدوات لإرادة الله . وهنا يكمن السمو الأخلاقي والقوة السياسية ــ الروحية لمطالبة الأصوليين بالسلطة .

ليس في العالم العربي أو الإسلامي دولة واحدة ـ باستثناء إيران ـ تستطيع أن ترفع دعوى بأن شرعيتها أمر يفرضه الدين . وإزاء ما تتمتّع به مطالب الإسلاميين ، في جوّ الأزمة الحاضرة ـ من إغراء عند الجمهور ـ فإن جهاز الدولة قد لا يشكل عقبة أمام الأصولية . وإزاء الاضطراب الممتدّ يمكن لفرقة من الجيش أن تصل بسهولة إلى السلطة وتقيم دولة إسلامية بدعم من المنظمات الأصولية . كذلك فإن النخب الحاكمة المتهاوية قد تلجأ إلى تبني الأصولية تحت ضغط من الجماعات الإسلامية القوية .

ومع ذلك فاستيلاء الإسلاميين على السلطة في قطر عربي لا يضمن النجاح في إقامة مجتمع سياسي قابل للنمو . وحالة إيران تصور المشكلات المتعددة الوجوه التي تحتاج إلى حلول كي تتحول الثورة إلى دولة مستقرة . وفي الإطار الأصولي السنّي ، من المحتمل أن تشكل النزاعات حول المبادئ والسياسات صعوبات كبيرة أمام مهمة تحويل النظرية السياسية إلى سياسات عملية . إن مهمة ردم الفجوة بين المبدأ الإسلامي ومتطلبات المجتمع المعاصر تتطلب « اجتهادًا » قويًّا يقوم به المثقفون والفقهاء المبدعون . ليس من المستيقن على الإطلاق أن يتمكن الزعماء والمنظرون الإسلاميون في المستقبل من التغلب

على تعقيدات مشكلات التنمية والاقتصاد ، ومن تأمين الحقوق الإنسانية الأساسية للمسلمين على السواء . إن في الإسلام ـ كغيره من المذهبيات الدينية والسياسية ـ قواعد للديمقراطية ولحكم الفرد المستبدّ . والمتحكم في تشكيل مستقبل المجتمع الإسلامي على الأرض هو المسلم التقي وقدرته على ممارسة أنبل المبادئ في عقيدته بتسامح وتواضع(*) .

* يحلو لهذا المستشرق ولغيره من المستشرقين تكرار مسألة استبعاد تطبيق الإسلام ـ ومهما كان الاختلاف واضحًا حاليًا بين المجموعات التي تعمل للإسلام فلا بد أن تصل يومًا بإذن الله إلى التفاهم والاتحاد الذي يدعو له الإسلام في قوله تعالى « **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا** » وقوله تعالى : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » . (مازن) .

الملحق الثاني

روح المتعصّب*

من المستحيل أن نفهم فهمًا صحيحًا الظاهرة الإسلامية دون أن نحدد تركيب شخصية الفرد الأصولي كما تشكلها بيئة الأزمة، وعلى أساس من النظرية النفسية - الاجتماعية، وبمساعدة الملاحظة التجريبية، يمكن أن نكوّن صورة من تركيب شخصية «المؤمن الحقّ». وتفيدنا كثيرًا - في هذا السياق - الصيغ التي قدمها «إريكسون» و «لاسويل» و «إنكلز» و «دور كايم» و «أدورنو» و «هوفر» و «ريسمان»، على الرغم من أنها ليست متلائمة تمامًا لتفسير الملامح الخاصة للأصولي المتطرف (المتعصّب). ومن الجلي أن المحيط الثقافي الإسلامي ذو خواص بنائية فريدة تؤثر على تطور شخصية الفرد الأصولي، ولهذا، سوف نحاول هنا التعرف على «الشخصية الشكلية» للأصولي المسلم من النوع المتطرف، استنادًا إلى ملامح معينة في الشخصية تتكرر في الناس ويبدو أنها تكوّن النمط النموذجي للتعبير النفسي[8]. وتتضمن هذه الملامح(*)

---

* حاولنا في متن البحث إلقاء نظرة تأملية على بعض هذه الصفات والرد عليها وتركنا البعض الآخر؛ لأن من نتوجه إليهم بهذا الكتاب يدركون تمامًا صحة أو خطأ ما جاء في هذه الصفات. (مازن).

٨ - بالنسبة لـ «أنماط الشخصية» انظر: جوردون ج. دي رينزو «الشخصية والسياسة» (جاردن سيتي، نيويورك. ط/أنكور ١٩٧٤م) ص ١٩. (!).

(*) مرة أخرى نلفت نظر القارئ إلى هذا الخطأ المنهجي في دراسات الغربيين عن الإسلام والحركات الإسلامية، بصرف النظر عن تعمدهم أو عدم تعمدهم لذلك، ألا وهو التعميم. إن هناك فروقًا جوهرية في تكوين الشخصية بين المسلم وغير المسلم=

العزلـــة :

الأصولي ـ قبل كل شيء ـ فرد يميل إلى العزلة ، وهذه العزلة التي هي نتيجة مباشرة لبيئة الأزمة العربية ـ الإسلامية ، تتضمن رفض الناصرية والبعثية والتحررية الرأسمالية والاشتراكية وشرعية النخب العربية الحاكمة ، وعزلة المتعصّب عن البيئة العربية الأكبر يتبعها غالبًا انفصال عن المجتمع يفرضه على نفسه ويعوضه عن طريق الانضمام إلى نظام العقيدة الإسلامية ، ولهذا يمنحه هوية جديدة ، وربما عضوية في المنظمة الأصولية[9] .

الاكتمال قبل الأوان ـ التعصّب :

ما إن يكتشف المهتدي الجديد العقيدة الجديدة حتى يلتزم بها التزامًا تامًّا كالمؤمن الحق . وفي حالة الشباب المهتدين ، يؤدي الالتزام الحاد إلى « اكتمال قبل الأوان » في سن مبكرة ، يتميز بتشدد متطرف في المعتقدات ورفض لإدخال قيم جديدة إلى إطارهم المذهبي (الأيدلوجي)[10] .

= المؤمن وغير المؤمن ، بين من ينتسب إلى الإسلام اسمًا أو شكلاً ومن يدين به عن علم ويقين ، بين من تربى على الكتب وحدها ومن تربّى على أيدي مربين محنكين طبقًا لمنهج إسلامي واضح . ومن الخطأ البيّن التسوية بين كل هؤلاء وإصدار أحكام موحدة عليهم . ومعظم هذه السمات المذكورة لا توجد في الإسلاميين الحقيقيين ، بل يتصفون بأضدادها ، فالمسلم الحق العامل للإسلام يختلط بالناس ويتربّى على غير تعصّب أو دونية أو استعلاء أو عدوانية أو فاشية أو عدم تسامح أو ارتيابية أو تـآمر أو قسوة . حقًّا هناك درجة من المثالية والإحساس بالواجب والجرأة ـ لكن في الحق ـ والطاعة لكن عن بصيرة ، ومن أخطاء هذه الدراسات أيضًا تعميم ما يصدق على أفراد أو قلة على جمهور الإسلاميين .

٩ ــ سالم البهنساوي ، « وراء القضبان ولدوا ، العربي (يناير ١٩٨٢ م) : ٤٤ ـ ٤٧ .

١٠ ــ إريك إريكسون ، « الطفولة والمجتمع » (نيويورك ، نورتون ، ١٩٥٠ م) ص ٢٧٠ ـ ٢٧٤ (١) .

الدونية ـ الاستعلاء :

الشعور بالدونية بين الأصوليين هو نتيجة لعزلتهم وعجزهم عن أن يجدوا البيئة الملائمة في المجتمع . ومشاعر الدونية هذه تتحول إلى مظاهر من الاستعلاء العدواني بمجرد أن يُضَمّ إلى العقيدة الإسلامية .

الحركية العدوانية :

يميل الأصوليون إلى العدوان في تعاملهم مع الكفار ، وغالبًا مع النمط السائد من المسلمين ، كتعويض لحرمانهم في المجتمع ، ولاعتقادهم بأن كل من ليس في جماعتهم إنما هو ضالّ . والأصوليون في سعيهم إلى فرض معتقداتهم وقواعدهم السلوكية على المجتمع ، يظهرون درجة عالية من الحركية سواء كدعاة مذهبية أو كأصحاب استعداد ثوري . وهذا يقف على طرف نقيض مع الصوفية الاستبطانيين الذين يغلب عليهم الاستغناء بالتأمل الصوفي عن الحركية السياسية[١١] .

الفاشيّة :

تنطوي شخصية الأصوليين على كثير من الملامح التي تميّز « الشخصية الفاشية »[١٢] وهذه الفاشية تفيض مباشرة من الشخصية الاستبدادية للتعاليم والتوصيات المستمرة لإحداث تحوّل جذري في المجتمع ـ ومن هنا كان اهتمامهم الشديد بالقوة وسعيهم إلى السيطرة السياسية والاقتصادية[١٣] .

---

(١١) نزيه ف . م . أيوف ، « الإحياء السياسي للإسلام ، حالة مصر » دورية « المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط » (IJMES) ١٢ ، ٤ « ١٢/١٩٨٠ م) ٤٩١ ـ ٤٩٦ » (إ .) .

(١٣) ت . و . أدورنو وآخرين ، « الشخصية الخافقة » (نيويورك ، نورتون ، ١٩٥٠ م) ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . (إ .)

(١٣) يوسف القرضاوي ، « ست علامات للتطرف الديني » ، العربي (يناير ١٩٨٢ م) : ٣٢ ـ ٣٦ .

عدم التسامح :

ينبع عدم التسامح عند المتطرفين الإسلاميين من المحتوى المسلّم به لعقيدتهم والتزامهم التامّ بمبادئها المتشددة[١٤] . ويتصل بهذا من قريب موقفهم غير المتسامح تجاه « المنحرفين » مما يعكس اعتقادهم أن الله لا يغفر الذنوب[١٥][*] .

الارتيابية - الاسقاط :

المتعصّب ميال إلى رؤية « القوى الشريرة » تعمل في بيئة معادية . ويظهر عليه ارتياب عميق في الناس وفي المؤسسات الحكومية التي يَنسِب إليها نوايا حاقدة[١٦] . إنه يميل إلى تقسيم العالم إلى أصناف جامدة طبقًا لقوالب محددة .

نظرة تآمرية :

إن التزام المتطرفين الإسلاميين بالتغيير الثوري ، بالإضافة إلى تصوراتهم السلبية عن المجتمع ، يغري بإنشاء تنظيمات سرّيّة لمقاومة الأعداء وقلب السلطة الشرعية . كذلك ، يأتي الاتجاه التـآمري كنتيجة لقمع الدولة للجماعات والمنظمات الإسلامية .

---

(١٤) أحمد كمال أبو المجد ، « التطرف غير الجريمة والتشخيص الدقيق مطلوب » ؛ العربي (يناير ١٩٨٢ م) : ٣٦ــ ٤٠ .

(١٥) يوسف القرضاوي ، العربي : ٣٢ ــ ٣٦ .

(*) واضح أن المؤلف يريد أن يبث الخوف الشديد من الإسلاميين في قلوب غير المسلمين أينما كان وفي قلوب عامة المسلمين ، وكذلك في قلوب الحكام وأصحاب السلطان في بلاد المسلمين . وهذا الاتجاه من أبرز ما يستخدمه الغربيون ــ وأزلامهم في بلادنا ــ لحرب الجماعات الإسلامية وتأليب الناس عليها . وسترى ذلك واضحًا في مواطن عديدة من هذا الكتاب .

(١٦) المرجع السابق ، وكذلك ، محمد فتحي عثمان ، « القمع سبب للتطرف وليس علاجًا له » العربي ، (يناير ١٩٨٢ م) : ٥٦ ــ ٥٧ .

المثالية - الإحساس بالواجب :

يُظْهِر الأصوليون الإسلاميون ـ كمؤمنين مخلصين ـ أرفع معنى للمثالية والإخلاص لقضيتهم . ومن منطلق قناعتهم بأن الإسلام هو الحق المطلق في رسالته ومهمته ، يصبح تحطيم الدولة والمجتمع « الآثمين » أعظم الفضائل[17][*] .

القوة - الجرأة :

يرفض الأصوليون ، انطلاقًا من تفسيرهم المتشدد للإسلام ، الطريق السهل في أنشطتهم الاجتماعية والجنسية (Sexual)[**]والسياسية[18] . يبدو عليهم تصلب في الطاعة وتشدد في طريقة الحياة واستعداد للكفاح والتضحية .

الطاعة - الالتزام :

يتعهد الأصولي ، عن طريق « البيعة » بالطاعة المطلقة لله وللرسول ولقائد

---

(١٧) محمد عبدالسلام فرج : « الجهاد : الفريضة الغائبة » (كندا ، د . ت) ص ٣٥ ـ ٥٥ .

(*) مما لا شك فيه أن إزالة الفساد فضيلة ، وإلا لأصبحت المحافظة عليه هي الفضيلة . لكن كيف تكون الإزالة ؟ هنا يكون الخلاف . في عرف الإسلام ومن يفهمونه بحق تكون الإزالة عن طريق التربية والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وإزالة المنكر بما لا يؤدي إلى منكر مثله أو أشد وتقديم أخف الضررين والمصلحة على المفسدة ، والمصلحة العامة على الخاصة . . والبعد عن انتهاك حرمة الأنفس إلا بحقها . أما تعبير المؤلف هنا بأن هدف الأصوليين الإسلاميين هو « تحطيم الدولة والمجتمع الآثمين » واعتبار ذلك أعظم الفضائل ، فذلك نقيض ما يقرره الإسلام ويعمل على أساسه الإسلاميون . وهدفه منه التشويه والتخويف والتحريض كما مرت الإشارة . ولست أدري مدى صحة ما نسبه إلى الفريضة الغائبة . وإن وجد فهو إما خطأ من مؤلفها أو سوء فهم من هذا المؤلف .

**) ما أبشع وأصعب هذا الطريق السهل في النشاط الجنسي الذي يدعو إليه المؤلف !! .

١٨) محمد الغزالي ، « حذار من الدين المغشوش ! » ، العربي (يناير ١٩٨٢ م) ؛ وكذلك خالد محمد خالد ، العربي (يناير ١٩٨٢) .

الحركة الآسر[١٩] . وهو يكيّف سلوكه بالمطابقة الدقيقة مع معايير الجماعة التي يعلنها القائد .

يبدو أن الخصائص السابقة تشكّل الشخصية الخارجية للأصولي المتطرف . ومن الواجب أن نؤكد على أن هذه الصورة المجمّعة صورة نموذجية بدائية . أما الأصوليون كأفراد في الحياة الواقعية فإنهم قد يتصفون بهذه الصفات بدرجات متفاوتة من حيث الحدّة . والواقع أن بعض الأصوليين قد يتصفون بهذه الملامح في أشد صورها تطرفًا . وهناك آخرون قد يميلون عن هذا المقياس سعيًا وراء شكل مخفف من الأصولية ، وذلك بالابتعاد عن الأفعال المعارضة بوضوح للدولة . أمثال هؤلاء الأفراد يبقون ــ عادة ــ على هامش الجماعات الإسلامية كمتعاطفين أو « رفقة سفر »[*] . وهناك مجموعة أخرى من الأصوليين تضم المجموعة الغامضة من الأفراد شديدي التدين الذين يشاركون المتعصبين في خصائصهم باستثناء الولاء لقادة حركيين بأعيانهم والانضمام إلى الجماعات النضالية . وتسييس هذه الجموع المؤيدة يمثل موضوعًا سياسيًّا بارزًا ، سوف يناقش في القسم الثالث .

---

(١٩) يوسف القرضاوي ، العربي (يناير ١٩٨٢) .

(*) هذا أيضًا تصوير مغلوط . فليس هناك تعارض بين « الاعتدال » و « معارضه الدولة » بوضوح . المهم أن تقدّم الأسس والمبررات المعقولة لهذه المعارضة ، وإلا فالنظام الديمقراطي قائم على أساس حق كل فرد أو جماعة في معارضة الدولة . كذلك ، ليس هناك تعارض بين « الاعتدال » و « الالتزام التام بالحركة الإسلامية » ؛ لأن الاعتدال و « الوسطية » هي سمة الإسلام الأساسية وسمة الحركة الإسلامية الحقيقية .

الملحق الثالث

تصنيف الجماعات الإسلامية وردود فعل الدولة

إن تكاثر الجماعات الأصولية في البلاد العربية وفي العالم الإسلامي الأكبر أصبح حقيقة حياتية في السنوات الأخيرة . وعلى الرغم من وجوه الشبه الأساسية في القيم والمعتقدات والتوجّه ، فإن هناك تباينًا واضحًا بين هذه الجماعات والمجموعات .

ونظرًا للسرية الموجودة عند كثير من المنظمات الإسلامية ، فإن من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل غالبًا ، جمع معلومات دقيقة عن صفاتهم . والمعروف من هذه الجماعات للعلماء الغربيين والمتخصصين في تناول هذا الموضوع عدد محدود جدًّا . في الواقع ، يوجد في كلِّ بلد عربي عشرات من المنظمات الأصولية العامة علانية أو سرًّا سعيًا وراء تحقيق أهدافها السياسية والاجتماعية والروحية . وقد يصل التقدير المتحفّظ لعدد الجماعات الأصولية النشطة في العالم العربي إلى عدة مئات ، يقدم الملحق ـ ١ هنا إحدى وتسعين منها . ويجب أن نلاحظ أن الطرق الصوفية والجمعيات الخيرية والإسلامية العامة مستبعدة كلها تقريبًا من هذه العينة .

صورة إجمالية للجماعات الأصولية

تقدم الإحدى والتسعون جماعة إسلامية هنا صورة مجمّعة للمجموعات النشطة والمنظمة من الحركة الأصولية في العالم العربي . ويجب أن نؤكّد أن المعلومات المقدمة هنا بعيدة جدًّا عن الكمال ، وأن من الضروري أن يستمر البحث حتى نحصل على صورة مكتملة للواقع الإسلامي في المنطقة العربية استُخلصت المعلومات الخاصة بالإحدى والتسعين جماعة من حوالي مئتي مصدر ـ صحف ونشرات وكراسات ودوريات وكتب بالعربية والفرنسية والإنجليزية والفارسية ومن مقابلات تمّت مع أكثر من أربعة وعشرين شخصًا من ذوي العلم من الشرق الأوسط ومنهم أعضاء في جماعات إسلامية . كانت

المطبوعات السرية مصدرًا لا يقدَّر . وقد عُرضت كلُّ معلومة على أكبر عدد ممكن من المصادر ضمانًا لأقصى درجة من الدقة(*) .

وفيما يلي تحليل إجمالي لإثنى عشر جانبًا من هذه الجماعات .

أسماء الجماعات الاسلامية

في معظم الحالات يختار مؤسس الجماعة اسمها ، باستثناء تلك الأمثلة التي تطلق فيها السلطة وأجهزة الإعلام اسمًا بديلاً على الجماعة . مثلاً ، في مصر ، يعرف « حزب التحرير الإسلامي » في أجهزة الإعلام باسم « جماعة الكلية الفنية العسكرية » ، و« جماعة المسلمين » باسم « التكفير والهجرة » .

وغالبًا ما يعكس اسم الجماعة المعينة أهدافها وتوجهها المذهبي والطائفي . وعلى هذا ، فكلمة « فاطمى » و« زينب » تشير إلى منظمات شيعية ، حيث إنها تشير إلى « العائلة المقدّسة » ـ إلى زواج الخليفة علي بفاطمة ابنة النبي (ﷺ) وابنتهما زينب . ومن الجدير بالنظر أن معظم الجماعات المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين المصرية يستخدمون لفظ « إخوان » . وتُؤْثِر الجماعات المصرية اسم « جماعة » أو « جمعية » ، على حين يبدو أن الشيعة مولعون باسم « حزب » . تعمل بعض الجماعات تحت أكثر من اسم لتضليل السلطات .

كذلك تعكس الأسماء التي تختارها الجماعات الإسلامية سعيهم لتقوية شرعيّتهم الدينية . ومن هنا يكثر استخدام بعض التراكيب والمصطلحات لتعطي انطباعًا بالأصالة التاريخية والدينية . ومن هذه :

حزب الله . الإخوان . الفتح . الحق . الجهاد . جنود الله . التحرير الإسلامي . المجاهدون . الدعوة . التوحيد .

---

* انظر كيف يدرسوننا وكم يبذلون من الجهد والأموال لمعرفة ما يدور في بلادنا ، وهل نحن ندرسهم بالمقابل بل قبل ذلك هل عرفنا أنفسنا كما يعرفون عنا ؟ إن هذا الأمر يحتاج من مفكرينا وعلمائنا وقفة متأنية . (مازن) .

خلفيـة العضـــوية

تشير كلُّ الدلائل إلى أن الأصولية موجودة بوضوح بين كلِّ قطاعات المجتمع ، من أعلى الطبقات إلى أدناها . لكن المصادر الرئيسية للتجنيد من قبل المنظمات الإسلامية هي الطبقات الدنيا والدنيا ــ الوسطى والوسطى ، والتي تتكون من صغار البورجوازيين من سكان المدن ومن الوافدين الجدد على المدينة من الفلاحين والريفيين . وثمة أهمية خاصة لطلاب الكليات والجامعات الكبيرة في المدينة ممن ترجع أصول الكثير منهم إلى أسر من المدن الصغيرة أو من قرى الريف . والنسبة الكبيرة في الجماعات الإسلامية المكونة من الطلاب والشباب تعزّز القوة المستقبلية للجماعات الأصولية في مواجهة المؤسسات والنخب الحاكمة . وهذا الظاهرة تؤكد الإفلاس السياسي للسلطات وفشلها في إقامة برامج فعالة للتكيف الاجتماعي يمكنها اجتذاب ولاء هؤلاء الشباب . أما مصادر التجنيد الأخرى من العاملين فتشمل أصحاب المحلات والعمال والمدرسين والجنود وموظفي المكاتب والمهندسين والأطباء وأبناء القبائل وضباط الجيش من أصحاب الرتب الوسطى .

النضاليـــة والمذهبيـــة

الأغلبية (٧٥ ٪) من الإحدى والتسعين جماعة إسلامية في العيّنة حكمنا عليهم بأنهم « نضاليون » نظرًا لتوجههم الثوري وسِجِلّهم في العنف . ومن الاستثناءات البارزة جماعة « الإخوان المسلمين » المصرية ، وفصيلة دمشق من « الإخوان » السوريين حتى عام ١٩٨٠ م ، وعدد من الأحزاب السودانية ، وبعض الجماعات الإسلامية في الخليج ولبنان والمغرب . فمثلاً ، « الحركة الوطنية الإسلامية » في لبنان « معتدلة » جدًّا ، إذ يتولى قيادتها مجموعة من رجال الدين والسياسيين الذين يهيبون بالوعي الإسلامي للشعب أن يحافظ على وحدة

الجماعة ضد المارونيين المسيطرين . لكن في أوقات الأزمات التي يخلقها القهر الحكومي أو الانهيار الاقتصادي أو الهزيمة أمام إسرائيل ، يحتمل أن تذوب الفواصل بين الدرجات الوسطى والعليا من النضالية ، حيث إن الأصوليين السلبيين أو المجانبين للعنف سيتحركون نحو النضالية . وفي النهاية ، يبدو أن هناك علاقة عكسية بين حجم هذه الجماعات ونضاليتها ؛ فكلما كبرت الحركة كانت أنشطتها أكثر علانية ونضاليتها أقل . بل إن الحركات المستقرة تضم أعضاء أقدم يأخذون بالمستويات الأدنى من الحركية . والفرضيتان الأخيرتان تتمثلان بوضوع في جماعة « الإخوان المسلمين » المصرية وعدد من التنظيمات الإسلامية في السودان والمغرب .

أما في إطار المذهبية ، فإنه توجد فروق بين النظم العَقَدية والممارسات في الجماعات الإسلامية . فالجماعات الأحدث والأكثر نضالية تميل إلى التأكيد على « الجهاد » بالقوة كأولوية دائمة ، على حين لا تلجأ الجماعات الأخرى إلى « الجهاد » إلا كوسيلة حين يبدو لها أن اللجوء إلى العنف أنفع لقضيتها . وهناك جماعات إسلامية أخرى تؤكد على الدعوة والعمل الاجتماعي الجماعي والاعتماد على الذات اقتصاديًّا كوسيلة لإعداد أنفسهم لأية مواجهة محتملة مستقبلاً مع الدولة . زيادة على هذا ، تحبّذ جماعات أصولية معينة ، مثل « التكفير والهجرة » ، التنظيم المركزي والحياة في تجمعات يعزلون بها أفرادهم عن المجتمع الواسع . ومن الضروري ، في النهاية ، أن نفرّق بين الجماعات « المنغلقة » (Primitivist) و « المتفتّحة » (Adaptationist) . فالمنغلقة ، مثل « التكفير » في مصر يصرون على التقليد التام لأنماط الحياة في مجتمع النبي (ﷺ) . في مقابل هؤلاء يأتي « المتفتّحون » ، مثل « الإخوان المسلمين » ، الذين يميلون إلى تقبل الأفكار والسلوكيات الحديثة المنتقاة ضمن إطار مذهبيتهم ومنهج سلوكهم .

الغالبية العظمى من الجماعات الإسلامية في العالم العربي سنيَّة ، كما يظهر في (ملحق ــ ١) ، (٨٠٪) . وهذه النتيجة تعكس الانتماء السُّني الساحق لغالبية العرب . الاستثناءات الرئيسية تتمثل في الجماعات « الاثنا عشرية » في العراق التي تدعي أنها تمثل أغلبية الشيعة والحركيين الشيعيين في لبنان والخليج . ولا يوجد في جماعات العينة من يمثل الأباضية أو الزيدية أو الغلاة : الإسماعيلية ومؤلهة علي (Ali Ilahis) والعلويين والدوز .

القيادة : الآسرة / الادارية (البيروقراطية)

بالنظر إلى هذا الوضع السري أو شبه العلني تبقى قيادة بعض الجماعات الأصولية مجهولة . وبشكل عام يغلب على مؤسسي الجماعات الإسلامية أن يكونوا من نوع الشخصيات « الآسرة » ، على حين يكون أخلافهم من النمط « الإداري » ممن يعملون من خلال قيادة جماعية . وتضم قائمة المؤسسين « الآسرين » شخصيات قوية مثل حسن البنَّا (الإخوان المسلمون) ؛ وآية الله باقر الصدر (حزب الدعوة ، العراق) والإمام موسى الصدر (أمل ، لبنان) وشكري مصطفى (التكفير والهجرة) وصالح سرية (حزب التحرير الإسلامي) . ومن الشخصيات « الإدارية » : عمر التلمساني (الإخوان المسلمون ، مصر) والشيخ حسن خالد (الحركة الإسلامية الوطنية ، لبنان) ونبيه بري (أمل ، لبنان) والقيادات الجماعية للإخوان المسلمين في سوريا والأحزاب السودانية والجماعات الإسلامية المغربية . ويبدو أنه كلما كانت الحركة أحدث كان الأكثر احتمالاً أن تقودها شخصية آسرة تتخذ لنفسها لقب « أمير » أو « إمام » أو « مرشد » أو « مهدي » . وفي جدول ــ ٢ بيان للتحول من الشخصيات المؤسسة الآسرة إلى الشخصيات « الإدارية » التي تتابع المسيرة .

وتشير الصورة الشخصية للقادة الأصوليينّ بشكل عام ، إلى خلفيات هامشية(*) وإحساس قوى بالغربة عن المجتمع ودافع لا يقاوم في التعويض عن المعاناة الشخصية والحرمان عن طريق العمل على تحطيم النظام القائم أو العمل على تحويله جذريًّا . ومن السهل أن نجد خصائص الهامشية والغربة والرغبة في التغيير الشامل عند ابن عبدالوهاب والمهدي السوداني والبنَّا وقطب ومصطفى وسرية وموسى الصدر وباقر الصدر(**) . ومن الملامح الهامة في القيادة الإسلامية الخلفيةُ الصوفية لعدد من القادة التي تحولت إلى نضالية سياسية ــ روحية تحت تأثير المعاناة الشخصية وظروف الفتن . ومن بين أولئك الذين بدأوا كصوفيين لكنهم تحوّلوا إلى الحركية المهدي السوداني وحسن البنَّا وسعيد حوّى من « الإخوان المسلمين » السوريين .

الملحــق الرابــع

عوامل التكهنات في بيئات الأزمــات

أي محاولة لاستشفاف النُّذُر في البيئة العربية يمكن أن تكون نوعـًا من المجازفة ، بالنظر إلى وفرة المتغيرات والاحتمال القوي للمفاجـآت والحوادث التي لم تكن في الحسبان . وأنسب مقياس للتنبؤ هو مقياس الأزمات الاجتماعية العميقة والمنتشرة ــ التي هي في نفس الوقت أزمة هوية وشرعية وحكم وثقافة

(*) Marginal background ، لعله يعني أن الشخصية كانت غير معروفة جماهيريًّا قبل تأسيس الجماعة .

(**) هذا التحليل لا دليل عليه بل يرفضه الواقع . وهو إن صح بالنسبة لقادة الأحزاب والمنظمات الدنيوية فإنه غير صحيح بالنسبة إلى المخلصين من قادة الحركة الإسلامية الأصيلة ممن قاموا من منطلق القيام بالواجب نحو ربهم وأمتهم ، وليس من دوافع نقص أو انتقام كما يزعم هذا التحليل .
يقول البنَّا « وقفت نفسي منذ نشأتُ على غاية واحدة هي إرشاد الناس إلى الإسلام قولاً وعملاً » . (رسالة المؤتمر الخامس ، الرسائل ، د . ت ، ص ٢٣٩) . وهذا أمر مقرر في كتابات الإسلاميين الجادين .

وتطور اقتصادي ومصداقية عسكرية . كما أن التحديات الخارجية من الغرب وإسرائيل والاتحاد السوفيتي ، وهي لا تقل عن التهيّج الداخلي الناتج عن سوء توزيع الثروة والظلم الاجتماعي وفساد الحكم وانعدام الأمانة ، كلها تجمعت لتهيئ المسرح لفترة من الاضطراب السياسيّ الحادّ . في ضوء بيئة الأزمات هذه ، تبرز الحاجة إلى تحليل الدور القوي للإسلام السياسي والجماعات الإسلامية .

إن العناصر الست للأزمة العربية ، كما حددناها في مطلع هذه الدراسة ، يتوقع أن تستمر في المستقبل المنظور . الواقع ، أن المرء يمكنه أن يقرر بشيء من اليقين أن بواعث الأزمة هذه التي أطلقت ردود الفعل الأولية يحتمل ألا تختفي بسرعة من الميدان . في ضوء هذه الظروف المشؤومة ، ثمة ثلاثة محدّدات تعتبر بارزة في تشكيل المواجهة القائمة بين النضالية الإسلامية والسلطة الحاكمة :

١ ــ سلوك النخبة ، ٢ ــ المثيرات الخارجية ، ٣ــ مبادرات الإسلاميين

يجب أن نلاحظ أن أثر المحدِّدات السابقة من حيث هي أسباب سوف يكون مشروطًا بتفاعلها مع بعضها ضمن بيئة الأزمة . وبتعبير آخر ، سيتأثر سلوك النُّخَب بظروف أزمتهم هم ، وكذلك بالبيئة الخارجية والمعارضة الداخلية التي يحتمل أن يواجهوها . وعلى هذا تصبح نوعيّة القيادة السياسية أمرًا مركزيًّا في التعرّف على النتائج المحتملة في استقرار النظام أو اضطرابه .

سياسات النخبة

يمكن أن نتساءل بجدية عن إمكانية الفعالية لسياسة النخبة العربية الحاكمة تجاه الحركات والجماعة الأصولية . إن الفعالية الإجمالية لسياسة الدول ــ على الرغم من وجود بعض الفروق بين الأنظمة ــ لا يمكن اعتبارها عالية على المدى الطويل . والحق أن هذا الدور غير المفيد للقيادة يتعدى الجماعات الأصولية ليغطي كلَّ تصرفات النخبة . **إن النخبة العربية بحاجة إلى**

ثلاث سياسات ذات علاقة متبادلة ، إن أرادوا اقتلاع المدّ الأصولي(*) وتخفيف مستوى التوتر الاجتماعي ، وهي : إصلاح شامل وتكييف اجتماعي منتظم واعتدال في استخدام قوة الدولة ضد المناوئين(**) . ويشير تاريخ المنطقة إلى أن توقعات الإصلاح الأساسي ليست أكثر من مشجعة بدرجة متوسطة ، نظرًا إلى أن هذا يتطلب من النخبة التزامًا وإخلاصًا بالإضافة إلى القوة والرؤية . ويتطلب احتواء النضاليين الإسلاميين أن تكون النخبة الحاكمة مثالاً للاعتدال وعدم الوقوع في الفساد ، مع اتباع سياسة تدجين اجتماعي فعالة من خلال مذهبية بديلة (***) إن مأساة العرب هي أنه ، حتى مع حسن نوايا القادة ، لا توجد مذهبية قابلة للنمو منذ انهيار « الوحدة العربية » الناصرية . وكثير من القادة العرب ينقصهم الوعي الكافي والاهتمام بالفراغ المذهبي الموجود وبالحاجة الملحّة إلى عملية التدجين الاجتماعي السياسي . « القذافي » في ليبيا هو فقط الذي أحرز نجاحًا يسيرًا في هذا المحاولة ، وبينما يقر قادة السعودية والعراق وسوريا بالحاجة المذهبية الملحة ، فإن كلًّا منهم يواجه تناقصًا خطيرًا بين مذهبيته وسياسته وظروف بلده الاجتماعية والسكانية . أما جهود الرئيس مبارك لإعادة مذهبة النضاليين الإسلاميين في السجون ، فيبدو أنها كانت محدودة النجاح ، نظرًا لأنه ليس له وضع مذهبي ، ولفشله في القيام بإصلاحات ذات نطاق واسع ، ولعجزه العام عن إبعاد نفسه عن تراث السادات(1) . كما أن

(*) صدق الله العليم الخبير : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران : ١١٨) .

(**) مالذي يحول بينهم وبين تحقيق ذلك الهدف العظيم والسلطات كلها في أيديهم ، اللهم إلا فساد النهج المتبع !

(***) كيف يتأتى الاعتدال النموذجي والبراءة من الفساد مع احتكار « النخبة » للحكم وإعطائها لنفسها حق التشريع في كلّ الشؤون وحق إلغاء القوانين والدساتير حسب هواها ؟ ! بل أرني هذا النموذج الفذ في أي دولة في العالم ؟ ! إن ذلك لا يتأتى بدرجة عالية إلا في مجتمع وحكم يدين لله ويخشى حسابه .

(1) انظر : أبو خالد ، المجتمع (١٩٨٢/٧/٢٧) .

الحكومة لا تملك الوسائل لتحسين الانهيار الاقتصادي في مواجهة النمو السكاني . وقد يبدو أن خط العمل الممكن للرئيس مبارك هو أن يأخذ بتشكيلة ناصرية إسلامية لإحياء العاطفة القومية كمعادل للأصولية(*) . هذا الضرب من السياسة ربما كان البديل الوحيد لما يتوقع من التهديد الإسلامي الصاعد . وفي الوقت نفسه ، سوف يحتاج مبارك إلى نيل تنازلات كبيرة من حكومة إسرائيلية قادمة بالنسبة للكيان الفلسطيني . إن المعضلة المصرية حادّة بشكل فريد ؛ لكن ملامحها العامة يمكن أن تكتشف في معظم الأقطار العربية . وفيما يلي تلخيص لسياسات الدول العربية الإصلاحية والمذهبية والاحتوائية تجاه الأصولية .

التقييم الملخص في جدول ـ ٧ يغطّي أربعة أبعاد متداخلة لأداء الأنظمة وإمكانياتها . ويمكن تحديدها كما يلي :

١ ـ **الحماس للإصلاح** : درجة التزام القيادة بإجراء إصلاحات شاملة وأصيلة في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

٢ ـ **الإمكانية المذهبية** : المدى الذي تستطيع النخبة السياسية الوصول إليه في تطوير إطار مذهبي متّسق داخليًا وقابل للنمو يمكن استخدامه في عملية التدجين الاجتماعي من أجل تقوية شرعية النخبة ومؤسساتها .

٣ ـ **القدرة على الاسترضاء** : محصلة قدرات النخبة والنظام السياسي بجملته على زيادة مشاركة المواطنين وتأييدهم من خلال التدجين الاجتماعي والالتزام بالإصلاح والحوافز الاقتصادية .

٤ ـ **طاقة الإسلاميين** : الوضع الحالي للنضالية التنظيمية في كلٍّ قطر عربي ومستوى قدرتها على تهديد السلطات القائمة . تصبح فيها الأخيرة عاجزة عن إعداد وسائل القمع الكافية من أجل احتواء التهديد الأصولي ، فإن قلب نظام الحكم يصبح نتيجة محتملة . فإذا تداخلت المتغيرات ، كالثروة

(*) ما زال المؤلف مصرًّا على تقديم مقترحات بخلطات مذهبية عجيبة (سمك لبن تمر هندي) مع أن ذلك جرِّب ، ولا يزال يجرب ، وثبت بألف شاهد من الواقع فشله ورفض الجماهير له !

مثلاً ، فقد تُغيِّر النتائج في أقطار دول الخليج . بل إن حكومة ما قد تزيد من قدراتها القمعية حين تعتمد على أقليات طائفية معبأة أو على مساعدات أجنبية على نطاق واسع . مثل هذه المخططات قد تؤمّن النظام على المدى القصير ، على الرغم من مستواه المتدنّي في القدرات الإصلاحية والمذهبية والاسترضائية .

المثيرات الخارجيـــة

تؤثِّر العوامل الخارجية ــ إلى حد كبير ــ في تشكيل تطور الأصولية الإسلامية . فمن المتوقع أن يكون لأي زيادة ملحوظة في النضالية في مصر أصداء كبيرة في أنحاء العالم العربي . والأخطر من ذلك أن يتولى الإسلاميون الحكم في إحدى الدول العربية الكبرى . والواقع ، أن « عامل الخميني » ، لو كان قائد الثورة شخصية سُنِّية آسرة في إحدى البلاد العربية الرئيسية ، لكان من العسير السيطرة عليه فعليًّا(*) . ويبدو أن الثورة الإيرانية قد فقدت بعض إغرائها بين الأصوليين السنة العرب ، فيما عدا فاعليتها المستمرة في العراق ومنطقة الخليج . ومع ذلك ، فما زال « آية الله » ينال الإعجاب من المسلمين في مصر والجزائر وسوريا والأردن وتونس ولبنان وليبيا . فتجربة الثورة الإيرانية يُنظر إليها كنموذج ناجح يمكن تقليده . كذلك ، قامت علاقات وثيقة بين الإيرانيين وبعض الجماعات الأصولية العربية . ومع ذلك ، فيبدو أن التأثير الإيراني في المنطقة العربية سيظل محدودًا طالما بقيت الحرب العراقية الإيرانية في ورطتها ، والجبهة الداخلية في إيران في اضطرابها . زد على هذا ، أن إغراء الخميني قد أصبح محدودًا بسبب عجزه عن أن يخفّف بالقدر الكافي من الصبغة الشيعية للثورة الإسلامية ودعمه لبعض الأنظمة العربية .

(*) قارن هذه الموازين بأحجام الضغوط الاقتصادية والتغلغل الفكري والثقافي الأجنبي الواقعة على مختلف البلاد الإسلامية ، خاصة العربية ، وكذلك حجم الضربات والتضييق الموجه إلى الجماعات الإسلامية فيها ، تــر تنسيقًا واضحًا وتخطيطًا .

ثَمَّة مثير خارجي آخر قوي هو الصراع العربي ــ الإسرائيلي . فقد كان عجز العرب العسكري تجاه إسرائيل سلاحـًا قويـًا في ترسانة دعاية الإسلاميين يهاجمون به فعلاً « كلَّ »(*) القادة العرب . وفي هذا الموضوع تشارك كلّ قطاعات المجتمع العربي تقريبـًا ما يوجهه الإسلاميون من نقد قاسٍ . وفي هذا السياق ، كان « الارتباط » الأمريكي بإسرائيل وبالدول العربية الرئيسية مؤثرًا بالضعف على ما للنخبة العربية من شرعية وموثوقية متناقصة . فيرى الإسلاميون أن العلاقات العسكرية بين الولايات المتحدة وكل من مصر والأردن تعني فرض الضعف العسكري الدائم على البلاد العربية بالنسبة لإسرائيل ، فضلاً عن التأثيرات الاقتصادية والثقافية البغيضة . إن التدهور المستمر لوضع العرب تجاه إسرائيل ، وكذلك فشل الولايات المتحدة في إنجاز تسوية بين العرب وإسرائيل مقبولة للطرفين ، لعله يحمل في طياته بذور ثورة إسلامية وقومية ضد النخبة العربية الموالية لأمريكا[٢] . وهناك مؤثرات خارجية أخرى ممكنة ، منها الحرب العربية ــ الإسرائيلية بوجه عام ، أوقيام ثورة بتحريض سوفيتي .

أشكال المبادرة الأصولية

سوف يعتمد تطور الحركة الأصولية الإسلامية ، كذلك ، على نوعية قيادتها الفكرية والسياسية . وفي هذا المفترق تعاني الحركة بشكل خطير من نقص في التوجيه التخطيطي والسياسي والمذهبي . فالحركيون البارزون في مختلف الجماعات النضالية الإسلامية قد قتلوا ، ومن بينهم سرِّيّة ومصطفى

(*) كتب المؤلف كلمة « كلّ » بشكل يشير إلى توكيده على معناها ؛ وواضح ما في ذلك من استعداء كلّ الزعماء العرب على الإسلاميين .

(٢) بشأن العلاقة السببية بين الأصولية والصراع العربي ــ الإسرائيلي ، انظر : ر . هـ . د دكمجيان « الإحياء الإسلامي والصراع العربي ــ الإسرائيلي » ، دورية « النظرة الجديدة » (نوفمبر ــ ديسمبر ١٩٨٠ م) .

وجهيمان وموسى الصدر وفرج باقر الصدر ومروان حديد وغيرهم ، والبعض ما زال في السجن . قد تمر عدة سنوات قبل أن يظهر زعماء جدد ، على الرغم من احتمال وجود أي عدد من الطموحين ذوي الشخصيات الآسرة في الجماعات السرية التي تتكون حديثًا . أما قيادة « الإخوان المسلمين » في مصر وسواها من البلاد العربية فهي كبيرة السن ومتعبة بعد سنوات السجن والاضطهاد . أما كوادرها فلا تزال بكرًا وتتميز بخبرة سياسية لا يوجد لها نظير بين المنظمات الإسلامية . فإذا تولّى بعد عمر التلمساني قائد حركي شاب ، فمن الممكن أن ينفخ الحيوية في هذه المنظمة الكبيرة ويحولها إلى خطر حقيقي يهدّد النظام . « الإخوان المسلمين » ـ في الوقت الراهن ـ تبقى في وضع غريب ، فهي ترغب في أن تشارك في السياسة بشكل قانوني كمجموعة معارضة ، بينما تحتفظ بوجهة نظرها الإسلامية . لكن « الإخوان » على وجه الإجمال كانت حذرة حتى لا تَنْجَرَّ ، قبل الأوان . إلى مواجهة مع أي دولة عربية . والحق أنه يبدو أن « الإخوان » ، وفروعها الرئيسية في البلاد العربية ، عازمة على أن تعدّ نفسها للمستقبل ، بدلاً من أن تقوم بمحاولات سيئة التوقيت طلبًا للسلطان فتتعرض لمخاطر القمع كما في سوريا . لقد وجد اتجاه واضح بين الجماعات الأصولية الكبرى للعمل على أسلمة النظام السياسي عن طريق سياسات سليمة تدرُّجية ، وهو أسلوب من العمل الإسلامي يمكن أن نراه في جهود الترابي في السودان والتلمساني في مصر . ومع ذلك ، فمن المحتمل جدًّا أن أي عمل فيه عنف تقوم به جماعات نضالية أصغر يمكن أن يؤدي إلى عملية قمع على نطاق واسع قد تشمل الإسلاميين التدرّجيّين مثل « الإخوان » ، وبذلك تجهض احتمالات الأسلمة السلمية . كذلك ، فإن النموذج المصري يمكن أن يتكرر ، حيث يمكن لأعمال عنف محدودة معادية للنظام ، يقوم بها شباب نضاليون ، أن تحول دون انطلاق ثورة أصولية أوسع . وتتركّز التحديات العليا ، التي تواجه « الإخوان المسلمين » والجماعات الإسلامية الأخرى ، في ثلاث مهمات :

١ ـ إعداد برنامج مذهبي إسلامي مرن ورَحْب فيه أعلى درجة ممكنة من الإغراءات للقطاعات الرئيسية من السكان .

إن برنامجًا كهذا يمكن أن يصبح مقدمة لتنظيم « جبهة قومية » من الجماعات غير الأصولية المعارضة للحكومة . هذا المنهج فيه شبه بدور رجال الدين الإيرانيين في التحالف الواسع الذي أطاح بالشاه . وقد بدأت « الإخوان » السورية و « حزب الدعوة » العراقي السير بالفعل في هذا الاتجاه . كما أن هناك تحركات مشابهة واضحة في مصر ، على الرغم من أن الجماعات الإسلامية الأصغر ونضاليّي « الإخوان » قد لا يميلون إلى التنازل عن شيء من نقاوتهم المذهبية . زد على هذا ، أنه من المشكوك فيه ما إذا كانت الحركات الإسلامية نفسها يمكن أن تتفق على مفهوم واحد للعقيدة ، اللهم إلا تلك التي تقع داخل النفوذ المباشر للإخوان(*) .

٢ ـ إنشاء روابط انتقالية قوية بين الجماعات الإسلامية داخل العالم العربي وخارجه :

ثَمَّة أسباب كافية للاعتقاد بأن ذلك المستوى من التعاون الانتقالي الإسلامي قد تزايد كثيرًا في العقد الأخير . والعامل الرئيسي ، مرة أخرى ، هو « الإخوان المسلمون » المصرية . و « الإخوان » ، بحكم أنها أقدم منظّمة أصولية في العالمين العربي والإسلامي ، مارست الدعوة إلى مذهبيتها طوال نصف قرن في كلّ أقطار العالم العربي وخارجه . والإخوان المغتربون الذين يعيشون في مختلف الأقطار قد أصبحوا دعاة يلتفّ حولهم المواطنون والمغتربون للعمل من أجل غايات إسلامية . هذه العملية الدعويّة ، التي بدأت بعد ضرب عبدالناصر للإخوان ، آتت ثمارًا هامة . فكما يظهر في ملحق ــ ١ ، تشترك كثير من الجماعات الإسلامية ، في الخليج والأردن وسوريا والضفة

(*) أساسيات العقيدة ، وأساسيات الإسلام ومبادؤه العامة ، ليست محل خلاف بين مختلف الجماعات الإسلامية الحق ، وإنما الخلاف في بعض الفرعيات وطرق الفهم ونظام الأولويات ، وسيشير المؤلف بعد قليل .

الغربية ولبنان والسودان والمغرب ، مع « الإخوان » في الخطوط الرئيسية لمذهبيتها وفي أهدافها الاجتماعية والسياسية(**) . بعض هذه الجماعات امتدادات للإخوان ، على الرغم من أن الأخيرة ليس معروفًا أن لها « قيادة عليا » في القاهرة . لكن جماعات « الإخوان » العديدة ترتبط مع بعضها بعلاقات وثيقة تجمع في طبيعتها بين الجوانب الروحية والسياسية والمالية معًا . كما أن للإخوان اتصالات مع الجماعات الإسلامية في كل أنحاء العالم ، بما فيها المنظمات الشيعية ورجال الدين الإيرانيين . لقد قامت شبكة « الإخوان » بالفعل بأدوار سياسية مهمة في شئون العرب الداخلية ، ومنها عزل النظامين المصري والسوري ، والتخفيض من المعونة الاقتصادية الخليجية لسوريا وتأييد عرفات ضد الأسد . كما ساهمت « الإخوان » وفروعها ، أكثر من أي عامل آخر أو منظمة ، في إعادة الصحوة الإسلامية على مستوى الجماهير في أنحاء العالم العربي . لقد خلقت « الإخوان » جمهورًا واسعًا من المسلمين الواعين سياسيًّا ، وذلك عن طريق الدعوة المتأنية عبر الثلاثين سنة الأخيرة وسط الأزمة المتفاقمة .

٣ ـ إعداد عناصر قيادية مقتدرة :

يبدو أن « الإخوان » يعوزها ، حتى في مركزها الرئيسي في القاهرة ، وجود « طليعة » ثورية محكمة الربط يمكنها أن تقلد النموذج « اللينيني » أو « الخمينيّ » في التنظيم الثوري . كما أنه تعوزها الشخصية الآسرة . ومع ذلك ، فالإخوان لديهم بالفعل تنظيم ومذهبية واضحة ـ وهي تركيبة لا تستطيع بعض الحكومات أن تجاريها . في أنواع معينة من بيئات الأزمات ، يمكن لهذه الإمكانيات أن تبرهن على أنها كافية لتسلم السلطة في واحد أو أكثر

(**) المصدر الأساسي للاتفاق بين مختلف الجماعات الإسلامية هو طبيعة الإسلام من حيث إنه منهج واضح الأصول والغايات سواء من حيث نصوصه المحفوظة أو من حيث التجارب التطبيقية التي مرّ بها . فكلّ الداعين ـ بحق ـ إلى تحكيم شرع الله سيلتقون ـ أينما كانوا ـ على الأصول ومعظم التفاصيل .

من الأقطار العربية ، أو ، على الأقل خلق قدر من الاضطراب كافٍ لإسقاط الأنظمة الموالية للغرب . وإذا افترضنا أن دواعي الأزمة موجودة بالفعل ، فإن المسألة تبقى مسألة التعرف على « الدواعي » الممكنة التي يمكن أن تضع القوة الثورية على طريق الحركة .

تفاعلات الصراع

يتوقف ظهور نضالية أصولية في المستقبل على تشكيلة من التطورات والحوادث الداخلية والخارجية ، التي يمكن أن نميز بعضًا منها فقط وبشكل مؤقت . من بين التفاعلات ، التطورات الممكنة التي يمكن أن تؤدي إلى ردود فعل أصولية فورية أو على مدى بعيد ، توجد أربعة تعتبر مهمة من حيث صداها الإقليمي والعالمي :

هزيمة العرب أمام إسرائيل :

إن تطاول فترة المواجهة المسلّحة بين العرب وإسرائيل يحتمل أن يُحوِّل تركيز النضالية الإسلامية من الحكومات العربية إلى إسرائيل . ويقف الأصوليون ، أفرادًا وجماعات نضاليين وسلبيين ، من إسرائيل ومن المذهبية التي تؤيد وجودها موقف المعارضة على طول الخطّ . وفي ضوء هذا الموقف المتصلّب ، سوف ترحّب الجماعات الإسلامية بأي فرصة لحرب إسرائيل ، على الرغم من أنها على قناعة بأن الأنظمة العربية ، بما فيها النظام السوري ، غير راغبة في تحدي الدولة اليهودية . ومن ثَمّ ، فإنهم يعتبرون معظم النُّخَب العربية بمثابة « عملاء أجانب » قد فَرَضوا على شعوبهم حالة من الضعف العسكري الدائم بالنسبة لإسرائيل . في ضوء هذه الخلفية الملموسة ، لا بد لأي انتصار إسرائيلي ، على واحد أو أكثر من الأنظمة العربية ، من أن يثير معارضة واسعة النطاق ضد الولايات المتحدة والحكومات العربية الموالية لأمريكا . وبالنظر إلى التصور السائد لأحجام القوى في العالم العربي ، يغدو محتملاً أن تتحد العناصر المعارضة تحت الراية الإسلامية في تحالف عريض ضد تلك القوى .

المبادرات العسكرية والسياسية للولايات المتحدة :

لقد تزايد بشكل ملحوظ شعور العرب بالعداء تجاه أمريكا في السنوات الأخيرة . وقد انتهى الذهن العربي الشعبي ، في العقد الأخير ، إلى الربط بين الولايات المتحدة وكلّ ما نزل بالمنطقة من شرور ، من الهزائم العسكرية إلى النكبات الاقتصادية . وعلى أساس هذه الخلفية الواضحة ، لن يلقى التدخل العسكري الأمريكي ترحيبًا ، والاستثناء الوحيد هو إذا ما كان ذلك مواجهة لهجوم سوفيتي مباشر ، وهو احتمال غير وارد في منظور العرب . والتطور الأكثر احتمالاً هو أن تقوم الولايات المتحدة بعمل عسكري ربما لإنقاذ نظام مترنّح . ومبادرة كهذه يمكن أن تولد أثرًا يتموّج فيثير حركة نضالية أصولية بين الجماهير . وحتى في حالة نجاح محاولة أمريكية كهذه ، فالمحتمل أنها ستدمر أسس ما للنخبة الحاكمة من شرعية هزيلة . ثمّة عامل آخر يحتمل أن يؤدي إلى ردود فعل إسلامية نضالية ، وهو أن تقوم الولايات المتحدة بمبادرة سياسية رئيسية لصالح إسرائيل ، وأوضح مثال على ذلك أن تقرّر نقل السفارة الأمريكية إلى القدس* .

عدم الاستقرار في مصر :

هناك مجموعة من المعايير الموضوعية تجعل من مصر الدولة الأساسية في العالم العربي والشرق الأوسط . وليس ثمّة بديل « استراتيجي » لمصر من حيث موقعها الجغرافي ـ السياسي ، وقاعدتها السكانية المتجانسة ، ومركزيتها الثقافية وقدرتها العسكرية ، كذلك ، فإن مصر هي موطن أكبر حركة إسلامية في

---

* ما أعجب هذا المستشرق يصور الحركة الإسلامية أحيانًا بصور ساذجة فإما أن يكون هذا عن جهل أو عن عمد . فمهما كانت قوة أمريكا فلا يصح أن يسند إليها ما هو أكبر من حجمها « **لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » فأمريكا والعالم أجمع يسير وفق سنن الله عز وجل التي لا تتغير ولا تتبدل . (مازن) .

العالم ـ « الإخوان المسلمون » وفصائلها النضالية . وأي تخطيط لتطورات الصراع في البيئة المصرية يجب أن يأخذ في الحسبان ستة من عوامل التغيير :

١ ــ حجم الأزمة الاجتماعية الاقتصادية .

٢ ــ قدرات النخبة .

٣ ــ المعارضة : الإسلاميون والناصريون .

٤ ــ فعالية وسائل القمع والاسترضاء .

٥ ــ طبيعة حركة المثيرات .

٦ ــ الحالة النفسية للجماهير .

بيئة الأزمة وقدرات النخبة (١ ، ٢) :

ليس ثمَّة شك في ضخامة أعباء مصر الاجتماعية والاقتصادية . فالنمو الكمي في سكانها ضمن رقعة محدودة القابلية للسكنى ومع ندرة الموارد لأَمرٌ كفيل بإرباك أعظم الجهود لأي قائد ، مهما يكن قديرًا ومبدعـًا . وعلى هذا الأساس غدا أداء النخبة المصرية لا تميّز فيه ، على الرغم من مبادرات الرئيس مبارك المفيدة بوجه عام والمتزايدة ، ومن سمعته الشخصية كإنسان مستقيم . أما سياسة السادات « الانفتاح الاقتصادي » فقد أدت ـ خلافـًا للتصورات الغربيّة الخاطئة ـ إلى زيادة واضحة في سوء توزيع الثروة . وفي الوقت نفسه ، تحطمت بقوة توقعات الجماهير في الربح الاقتصادي من وراء تحول السادات إلى « خيار السلام الأمريكي » . . أمام هذه التحديات ، تصبح قدرات النخبة المصرية ضعيفة . أما قدرة النظام السياسي على الاسترضاء فهي محدودة ، حيث إنها لا تستطيع أن تقدم إلهامـًا مذهبيـًا قويـًا ولا حوافز اقتصادية كافية .

الارتباط الإسلامي ـ الناصري (٣) :

ظهر في الستينات نوعان من الظواهر الإسلامية كرد فعل للأزمة الاجتماعية : ١ ــ تكاثر الجمعيات الإسلامية : النضالية والهادئة .

٢ ــ انتشار الممارسات السلوكية الإسلامية بين قطاعات كبيرة من الشعب .

وبلغة المذهبيات ، ظهر في بادئ الأمر أن الروح الإسلامية قد حلت محل الناصرية ؛ لكن في أواخر السبعينات بدأت الناصرية والإسلامية تتقاربان فنتج عن ذلك مزيج مذهبي غريب محوره الاحتجاج ضد النظام . وقد ظهرت المؤشرات الأولى لهذا التقارب على المستوى الشعبي أثناء اضطرابات يناير ١٩٧٧ م الخطيرة . وهذا التلاقي والتعاضد الممكن بين هذين التجمعين الجماهيريين يمكن أن يمثل بحق خطرًا قويًّا على النخبة الحاكمة .

حركة المثيرات واستجابات الدولة وحالة الجماهير النفسية (٤ ، ٥ ، ٦) :

على الرغم من وجود عوامل الأزمة في المجتمع المصري ، فمن المستحيل التنبؤ بالوقت والكيفية اللذين ستؤدي بهما ألوان السخط هذه إلى تحديات صريحة للنظام . فتوقيت العصيان المسلح يتوقف على مثيرات عارضة أو مخطط لها ، وكذلك على خصوصيات الحالة النفسية للشعب . والعامل الأخير يصعب تقديره بسبب هدوء الطبيعة القومية المصرية . فالمصريون يتميّزون ـ خلافًا لبقية العرب ـ بصبر هائل وعدم الميل إلى التحركات الجماهيرية الحادة . لم يتحركوا ككلّ إلا في حالات نادرة ، مثل حريق القاهرة (١٩٥٢ م) واستقالة عبدالناصر (١٩٦٧ م) وجنازته (١٩٧٠ م) واضطرابات أسعار الأغذية ضد السادات (١٩٧٧ م) . هل سيقومون ضد الرئيس مبارك أم أن القاعدة « الفرعونية » المعروفة في التاريخ المصري ستستمر لِتؤمّن سيطرة الدولة ؟ إن إمكانية قيام حركة عصيان مسلح ذات قاعدة شعبية تعتمد على عدة عوامل متشابكة :

١ ــ درجة بُعد التجمع الناصري عن النظام . وليس من الواضح ما إذا كان الناصريون قد رضوا عن مبارك ناظرين إلى سياسته الإصلاحية وما قام به من إحياء جزئي لتراث عبدالناصر التاريخي .

٢ ــ الدرجة التي وصل إليها تدهور علاقة مبارك بـ« الإخوان » وتجمعاتهم الإسلامية ، نتيجة للضغوط الموجهة ضد الجماعات الأصولية .

٣ ــ المدى الذي يصل إليه مبارك والحزب الوطني الحاكم في السماح بقنوات دستورية لحرية التعبير، خاصة في عملية الانتخابات .

٤ ــ ظهور أحد العوامل المحركة الذي يمكن أن يثير عملية العصيان . وهذا يمكن أن يحدث على شكل استفزاز من جانب الحكومة ، أو عن طريق عامل خارجي يتحدى الثقافة السائدة أو الأمور الحساسة عند العامة . إن قائمة من الاستفزازات المتفجرة بقوة يمكن أن تضُمَّ :

- اعتقالات واسعة ، أو قمع ، أو تعذيب .
- قرارات أساسية في السياسة الاقتصادية تكون لها آثار سلبية على حياة عدد كبير من الناس .
- قتال واسع النطاق بين العرب وإسرائيل ، يؤدي إلى إذلال للعرب .
- تحركات رئيسية ـ عسكرية أوسياسية ـ للولايات المتحدة في العالم العربي ومنها التدخل العسكري .
- تصعيد الاشتباكات المحلية بين الشعب والشرطة نتيجة لطفح المجاري أونقص المياه أو مظاهرات الطلبة أو إزعاج السلطة للجماعات الدينية .

إن أيًّا مما سبق يمكن أن يولّد قلقًا شعبيًّا في واحدة أو أكثر من المناطق الحضرية ، ويمكن أن يمتد إلى كلّ أنحاء القاهرة والقُطر ، يبدو أن حكومة مبارك تعي الخطر وتسعى إلى تفاديه بطرق ثلاث :

١ ــ الحرص على ظهور الرئيس ورجال الدولة بمظهر بسيط ؛ والبعد عن اتخاذ مبادرات كبيرة الحجم على الجبهتين الداخلية والخارجية .

٢ ــ الاعتماد على الاحتياطات الأمنية الواسعة تجاه الجماعات الإسلامية ، وفي الوقت نفسه استخدام لغة « ناعمة » لاسترضاء الجماهير .

٣ ــ حصر الصراع في مناطق معينة خاصة في القاهرة ، عن طريق عزل مناطق الاضطرابات ، وإغلاق الجسور الرئيسية ، وفرض حظر التجول لمنع تنفيذ أي عمل منسق في مختلف أنحاء المدينة .

إن هدف قوات الأمن المصرية هو منع تكرار الظروف المتفجرة التي كانت في يناير ١٩٧٧ م .(*)

إن توقع اضطرابات واسعة النطاق وعلى مدار الساعة يشكل العنصر الأساسي في أي تفاعل ثوري واضح . لقد أظهرت أحداث ١٩٧٧ م عدم كفاية قوات أمن الدولة لاحتواء المظاهرات وحوادث التمرد على القانون من هذا النوع الكبير والشعبي المستمر لمدة يوم كامل ؛ ومن هنا كان استدعاء الجيش لينقذ النظام . ولقد أكدت الدراسات العلمية الأخطار التي ينطوي عليها استخدام قوات الجيش النظامي للقضاء على الاضطرابات الداخلية . إن عملاً كهذا يظهر إفلاس السلطة المدنية ويقوي نظرة الجيش إلى نفسه باعتباره التجسيم الأعلى للفعالية القومية والملجأ الأخير في الأزمات . . وفي حالة مصر تتعقد المسألة بسبب استمرار وجود التوجهات الإسلامية والناصرية داخل فرق الضباط ، وبعض أعضائها يعارضون النظام ومن المحتمل أن يتعاطفوا مع أقربائهم المتظاهرين في الشوارع . إن فرق الضباط ، التي عزلت رسميًّا عن السياسة في عهد السادات ، قد فقدت تأثيراتها المذهبية . ففي غضون أقل من خمس سنوات أمرت أن تغيّر محورها المذهبي من « الوحدة العربية » إلى دور غامض في نظام الأمن الغربي في الشرق الأوسط . إن آثار هذا التوجيه الجديد والمفاجئ لم يكن صحيًّا . هذه المذهبيات الغامضة ، بالإضافة إلى التوجهات الإسلامية والناصرية القوية بين الضباط وضباط الصف ، تجعل من الجيش المصري أداة لا يعتمد عليها في السيطرة على الداخل . وقد أكد هذا الاستنتاج ما عرف من رفض أفراد القوات المسلحة قتال المدنيين الذين تربطهم بهم علاقات اجتماعية قوية وروابط أسرية . وكلما طالت مدة انتشار الجيش كقوة شرطة زاد احتمال وقوع انقلاب ضد الحكومة تحت أي ظرف طارئ في المستقبل ، والانقلاب المتوقع ، على غرار نموذج الثورة الناصرية ، يمكن أن يأتي

---

* يستحق هذا المستشرق الشكر أحيانًا على ما يقدمه من معلومات مفيدة ! .

إلى الحكم بضباط ، من ذوي الرتب الوسطى ، قوميين وإسلاميين يمكن أن يلقوا تأييدًا من اليسار الناصري ومن الجماعات الإسلامية بقيادة « الإخوان » . وهناك تشكيلة أخرى من احتمالات حدوث انقلاب يمكن أن يكون منها استيلاء الجيش على السلطة لمنع الفوضى ، أو انقلاب عسكري ينظمه ـ بشكل رئيسي ـ الضباط الإسلاميون . إن قيام نظام ثوريّ أصوليّ في مصر سوف يشكل أعظم إنجاز للمنظمة الإسلامية الممتدة عبر الأقطار . عندئذ ستصبح مصر المركز الرئيسي للأصولية الإسلامية عبر العالم بعد أن كانت يومًا ما تفخر بأنها « الدولة النواة » لحركة عبدالناصر « الوحدة العربية » .

وستكون لهذا آثاره التي لا تحصى على الشرق الأوسط والغرب والاتحاد السوفيتي(*) .

---

* واضح هنا أيضًا مدى بث الخوف في قلوب حكام البلاد العربية وقادة دول الغرب والشرق من قيام حكم إسلامي أصيل في المنطقة ، خاصة مصر ذات الثقل ، وهذا هو محور سياسة الغرب والشرق في محاربة الجماعات الإسلامية الأصيلة عامة ، والحركة الإسلامية في مصر بوجه خاص . وبالرغم من هذا الحذر الشديد فقد بلغت بهم الثقة غايتها في محاضرة ألقاها وليام كوانت في جامعة برنستون كان أحد فرضياته فيها استبعاد أي تغيير في خارطة الحكم في البلاد العربية وعنى بذلك قيام حكم إسلامي . ونذكرهم هنا بقوله تعالى : « **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » . (مازن) .

الملحـــق الخامـــس

النصارى في بلاد المسلمين
يتآمرون مع الغرب ضد الإسلام

هي ملخص من منشور وزعته إحدى المنظمات الإسلامية في الأردن وقد تضمنت افتتاحيته شرحًا لنوايا نصارى الأردن إقامة دولة صليبية ، ترتبط بأوثق الأواصر مع لبنان من جهة ، ومع الدولة الصليبية التي يخطط لإنشائها في مصر وتكون عاصمتها أسيوط وتشكل معهما حزام أمن يحيط بإسرائيل لحمايتها من الدول العربية[1] ، بعد طرد المسلمين من جميع البلاد المحيطة بإسرائيل وتحويلهم إلى لاجئين .

ثم تطرق المنشور إلى الخطوات التي تم تنفيذها وهذه هي خلاصته :

لقد نظم في الأردن في الخمسينات مجلس أعلى برئاسة المطران ومساعديه ، ولهذا المجلس خبراؤه السياسيون والاقتصاديون والعسكريون ، ويعمل هذا المجلس بتوجيه من مطران لبنان الذي يتلقى بدوره التعليمات من البابا (في الفاتيكان) وتسانده الدول المسيحية[2] .

---

١ ــ في الخطاب الذي ألقاه ناحوم غولدمان في مؤتمر المثقفين اليهود قال ما نصه : إذا أردنا لإسرائيل البقاء والاستمرار في الشرق الأوسط فعلينا أن نفسخ الشعوب المحيطة بها إلى أقليات متنافرة تلعب إسرائيل من خلالها دورًا طليعيًا ، وذلك بتشجيع قيام دويلة علوية في سورية ، ودويلة مارونية في لبنان ، ودويلة صليبية في الأردن ودويلة كردية في العراق ودويلة قبطية في مصر ، وأن نخلق جوًّا من الكراهية وعدم الثقة بين السعودية وجاراتها وبين إيران والدول العربية) أ هـ : نقلاً عن صحيفة الرأي العام الكويتية التي نقلت هذا النص بدورها من لوموند الفرنسية التي نشرت الخطاب كاملاً (وعلى من كانت له أذنان أن يسمع) .

٢ ــ لو استطاع الإعلام العربي فصم العلاقة الكاذبة بين التوراة والإنجيل لاقتلع الجذور اليهودية من أعماق الفكر المسيحي ، ولتمكن من تحطيم أسطورة أرض الميعاد التي =

أما أهداف هذا المجلس فإنها تتلخص فيما يلي :

أ) شراء الأراضي ، وقد رصد لذلك أموال كثيرة ، ويلاحظ في عملية الشراء اختيار الأراضي الواقعة على منافذ المدن الكبرى ، ويتبع في شراء الأراضي أن يشتريها أحد النصارى لنفسه وبعد أيام يوقفها على كنيسة معينة .

ب) بعد شراء الأراضي وإيقافها تقام عليها كنائس يراعى عند تصميمها أن تكون قلاعـًا حربية ، ومستودعات للأسلحة لا أماكن عبادة ، ومن هذه القلاع ما يشرف على منافذ القدس الثلاثة المؤدية إلى رام الله والخليل وعمان .

أما عمان فقد طوقت بقلاع من الأديرة والمستشفيات التي لا تقل في حصانتها وفي نوعية بنائها عن الكنائس ، منها مستشفى المعشر . فكنيسة دائرة السير ، فمدرسة ودير الفرير ، فمدرسة ودير راهبات الوردية ، فدير جبل الهاشمي ، ثم أرض شاسعة لمؤسسة ألمانية ، وهذا التخطيط متبع في كل مدينة أردنية[٣] .

جـ) إقامة قرى محصنة على الطرق الرئيسية التي تربط الأردن بالعالم العربي ، ولتحقيق ذلك قاموا بشراء خمس مستعمرات أحدها في (وادي الظليل) والثانية قرب قرية (الكفرين) والثالثة قرب مثلث (إربد ـ الرمثا) والرابعة عند وادي (الموجب) والخامسة عند (رأس

= استطاع التضليل اليهودي أن يجعلها جزءًا من العقيدة المسيحية ـ هذا ما قاله وما حاول الأستاذ أنيس فاخوري تأكيده وإثباته في كتابه الذي صدر حديثًا بعنوان : (نسف الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة إسرائيل) والذي أتمنى أن يطلع عليه كل نصراني على وجه الأرض .

٣ ـ الواقع أن هذا التخطيط متبع في كل بلد إسلامي توجد فيه أقلية نصرانية حتى لكأنها تنفذ بإيحاء وتوجيه من سلطة عليا واحدة ، وقد قيل لي إن تنفيذ هذا المخطط بدأ في مصر منذ أن نكبت بالاحتلال البريطاني ونصارى مصر مستمرون في تطبيقه حتى الآن .

النقب) وقد حصنت هذه المستعمرات بخنادق أرضية ، وقسمت إلى أجزاء صغيرة تقام عليها بنايات شعبية تباع على أقساط للنصارى ونظرًا لوقوعها في الصحراء فإنها تستعمل لتدريب (الجيش المريمي) وتتراوح مساحة كل مستعمرة ما بين أربعة وستة آلاف دونم .

د) التغلغل في الوظائف الحكومية ، والمراكز الحكومية ، والمراكز المدنية والعسكرية ومن نظر إلى هذا القطاع يذهله التخطيط الدقيق للاستيلاء على المناصب الحساسة وخاصة في الاستخبارات ، وسلاحي الإشارة والمهندسين والسلاح الجوي ، وقد يوجد من المسلمين من يقود أسلحة أخرى ، ولكنهم يختارون من الجهلة ، وساقطي الهمة لسهولة السيطرة عليهم وتوجيههم بالمال والنساء .

وعلى الرغم من أن نسبتهم العددية لا تتجاوز (٧ ٪) فإن ما بأيديهم من الوظائف الحساسة يزيد على (٥٠ ٪)[1] .

---

١ ــ نسبة النصارى في لبنان (١٧ ٪) وفي الحبشة (٣٠ ٪) وفي تشاد ومصر (١٥ ٪) ومع ذلك فإن الوظائف الحساسة وقف عليهم ومجالات العمل لا تتسع إلا لهم ولهم حصة الأسد في كافة المشاريع ثم يمثلون بعد ذلك مع المسلمين دور الذئب في قصة الذئب والحمل المشهورة .

وفي لبنان يقول الأستاذ سليم اللوزي في مجلة الحوادث رقم (٩٨٤) :

(اعتبر الموارنة لبنان لهم بدلاً من أن يعتبروا الموارنة للبنان ثم تركوا مسؤولية الحكم وانضموا إلى قُطَّاع الطرق وفارضي الخوة ، والخارجين على القانون يقاتلون معهم في الشوارع ومفارق الطرق .

لقد قبلناهم كطبقة حاكمة فأبوا إلا أن يكونوا زعماء عصابات ، تخلوا عن السلطة التي تمنحها لهم مناصبهم وتحولوا إلى قادة ميلشيا وزعماء عصابات مسلحة تقطع المياه وتنسف محطات الكهرباء وتقصف المؤسسات التجارية والصناعية ـ هل حدث في التاريخ أن نسف الحكام أجهزة الدولة التي يحكمونها) ثم يتابع حديثه فيقول : (لا بد أن يتصدى العقل للجنون ، ولا بد أن نعزل المصابين بوباء السعار في محجر الولاء للوطن . فاخرجوا أيها اللبنانيون وحطموا حواجز الجهلة والمجانين ، ولتكن الجولة =

ولقد بلغ تعداد هذا الجيش حتى أواخر عام ١٩٦٦ م حوالي عشرين ألف جندي ولهذا الجيش دستور طبع في لبنان . ومجلة شهرية تحمل اسم مجلة الجيش المريمي تطبع في لبنان أيضًا وقد منع دخولها إلى الأردن . ولكن هذا المنع لم يحل دون وصولها بانتظام وبأعداد كبيرة بواسطة موظفي الجمارك من النصارى في مراكز الحدود . ويحرر الصفحة الأولى منها المرشد الروحاني وهو عادة يختار العناوين المثيرة مثل (القدس عاصمتنا المسيحية) ومثل : (آن لجيشنا أن يخلص البلاد من أعدائه المسلمين) ومثل (ليس لغير المسيحيين حق في هذه الديار المقدسة) .

ولقد ضبطت السلطات الأردنية أسلحة كثيرة لهذا الجيش ولكنها سرعان ما تختفي ولا يعرف مصيرها . بل إن السلاح يتدفق على هذا الجيش من الداخل بواسطة الضباط النصارى في الجيش الأردني ومن الخارج بواسطة موظفي الجمارك في ميناء العقبة ومراكز الحدود .

وأخطر ما في الجانب العسكري ، هو صلة الضباط النصارى في الجيش بأجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية بواسطة الملحقين العسكريين في السفارتين الأمريكية والبريطانية .

ولقد قامت هذه العناصر النصرانية (بعد أن أتمت خططها ، وضمنت بناء القلاع والتحصينات واحتلال المناصب الحساسة) بتشكيل قوات ميلشيا عسكرية باسم (منظمة الجيش المريمي) وتحت شارة كشافة ، ولهذه المنظمة قيادات في الضفة الغربية ومركزها (القدس) وفي الضفة الشرقية ومركزها (عمان) ولكل قيادة مركز حربي أعلى ويتولى تدريب هذا الجيش الضباط النصارى في الجيش الأردني وفي الأمن العام .

= القادمة جولتكم فعند أول رصاصة تطلق ازحفوا كالموج الهادر واسحقوهم بأجسادكم واخنقوا جنونهم واغسلوا سعار تنكرهم لمسؤولياتهم بتضحياتكم ، موتوا كشهداء وليس كرهائن ، موتوا وقوفًا تحت سماء لبنان لا راكعين تحت الأنقاض . . وهي كلمات لم تعها الآذان ، حتى كان ما كان مما يدور الآن في لبنان .

ولقد قامت قوات هذا الجيش باستفزازات كثيرة ، وخاصة في الاحتفال بعيد الميلاد الذي سبق هزيمة حزيران ، وحمل أفراده صلبانًا يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار وأخذوا يهتفون بهتافات مثيرة مثل (دين المسيح هو الصحيح) و (لا عربية ولا إسلام) ومثل (آن لجيشنا أن يبرز لرفع علم مريمي على أرض المسيحية ويقيم دولتها) مما يدل على اعتدادهم بأنفسهم واطمئنانهم إلى قوتهم وإلى مساندة العالم المسيحي لهم . انتهى .

عن كتاب (ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير) للأستاذ/إبراهيم السليمان الجبهان
الصفحات : ٣٠ ـ ٣٤

الفهـــرس

تم الطبع بموجب الفسح النهائي الصادر من وزارة الإعلام ـ إدارة الإعلام الداخلي بجدة برقم ٧٥٠ م/ج بتاريخ ١٤١٠/٣/٢ هـ .

دار عكاظ للطباعة والنشر ☎ ٦٧٢ ١٠٠٠